

ذكر مزايا النيل

قال التيفاشى: اتفق العلماء على أن النيل أشرف الأنهار في الأرض لأسباب،
منها:

عموم نفعه، فإنه لا يعلم نهر من الأنهار في جميع الأرض المعمورة يسقى ما يسقيه
النيل.

ومنها: الاكتفاء بسقيه، فإنه يزرع عليه بغير نضوبة، ثم لا يسقى الزرع حتى يبلغ
منتهاه، ولا يعلم ذلك في نهر سواه.

ومنها: أن ماءه أصح المياه وأعدلها وأعذبها وأفضلها.

ومنها: مخالفته لجميع أنهار الأرض في خصال هي منافع فيه ومضار في غيره.

ومنها: أنه يزيد عند نقص سائر المياه وينقص عند زيادتها، وذلك أوان الحاجة
إليه.

ومنها: أنه يأتي أرض مصر في أوان اشتداد القَيْظ والحر ويسبب الهواء وجفاف
الأرض، فيبل الأرض ويرطب الهواء ويعدل الفصل تعديلاً زائداً.

ومنها: أن كل نهر من الأنهار العظام وإن كانت فيه منافع فلا بد أن يتبعها مضار
في أوان طغيانه بإفساد لما يليه ببعض^(١) لما يجاوره، والنيل موزون على ديار مصر
بوزن معلوم وتقدير مرسوم، لا يزيد عليها ولا يخرج عن حده ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ﴾ ١.

(١) في الأصل: ينقص.

١ سورة يس، الآية ٣٨.

ومنها: أن المعهود في سائر الأنهار أن تأتي من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وهو يأتي من جهة المغرب إلى جهة ^(١) الشمال، فيكون فعل الشمس فيه دائماً، وأثرها في إصلاحه متصلاً متلازماً، وفي ذلك يقول الشاعر:

مصر ومصر مأوها عجيب ونهرها يجري به الجنوب
ومنها: أن كل (نهر من) ^(٢) الأنهار يوقف على منبعه وأصله، والنيل لا يوقف له على أصل منبع، وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الصين والهند والروم غيره. وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينصب على الترتيب والتدرج غيره. وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل، ولا يجبي من خراج 1 غلة زرعه ما يجبي من خراج غلة زرع النيل.

وقال صاحب مباحج الفكر: النيل أخف المياه وأحلاها وأرواها وأمرؤها ^(٣) وأعمها نفعا وأكثرها خراجاً.

قال: يحكى أنه جبي في أيام كيغاوز أحد ملوك القبط الأول مائة ألف ألف وثلاثون ألف دينار، ويقال: إن كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الإسلامية. وجباه عزيز مصر مائة ألف دينار. وجباه عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار، وجباه عبد الله بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينار. ثم رذل إلى أن جبي أيام جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف دينار.

وسبب تقهقره أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان في الرجال الموكلين بحفر خلجه وإصلاح جسوره ورم قناطره وسد ترعه وقطع القصب وإزالة الحلفاء، وكانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل، مرتين على كور مصر سبعين ألفاً للصعيد، وخمسين ألفاً لأسفل الأرض.

(١) زاد بعدها في ب: المشرق.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) هذه اللفظة ليست في ج. وهى في ب: وأرواها.

1 الخراج: شئ يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم.

ويحكى أنها مسحت أيام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء مائة ألف ألف فدان، والفدان أربعمئة قصبة، والقصبة عشرة أذرع، وأما أحمد بن المدبر فإنه اعتبر ما يصلح للزراع بمصر في وقت ولايته فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان، والباقي قد استبحر وتلف، واعتبر مدة الحرث فوجده ستين يوما، والحرث الواحد يحرق خمسين فدانا، فكانت محتاجة إلى أربعمئة ألف وأربعين ألف حراث.

وقال: ابن دحية: جبيت مصر في أيام الفراعنة بسبعين^(١) ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاث مثاقيل من مثاقيلنا الآن.

(وقال ابن زولاق: قال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي العراق: سألت محمد بن المدبر عن مصر. قال: كشفتها فوجدت غامرها 1 أضعاف عامرها، ولو عمرها السلطان لوفت له بخراج الدنيا)^(٢).

قال: وقلت لبعض ولاة مصر: متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار؟ قال: في الوقت الذي أرسل فرعون بوبية^(٣) قمح إلى أسفل الأرض والصعيد فلم يوجد لها موضع تبذر فيه لشغل سائر البلدان بالزراع.

قال أهل التاريخ: كان فرعون إذا كمل التخضير في كل سنة ينفذ مع قائدين^(٤) من قواده إردب قمح فيذهب أحدهما إلى أعلى مصر والآخر إلى أسفلها، فيتأمل القائد أرض كل قرية، فإن وجد موضعا بائرا عطلا قد أغفل بذره كتب إلى فرعون بذلك، وأعلمه اسم العامل على تلك الجهة، فإذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل، وأخذ ماله. فربما عاد القائدان، ولم يجدا موضعا لبذر الأردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع.

(١) في ب، ج: بتسعين.

(٢) ما بين القوسين ليس في ب.

(٣) في ب، ج: وبية. والوبية: كيلتان. وقيل: الإردب ست وبيات.

(٤) في الأصل: قائد. والصواب ما أثبتناه بدلالة ما بعده.

1 الغامر من الأرض: الخراب الذي ليس به زرع ولا غرس.

قال ابن عبد الحكم 1: وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذى كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها أنهم كانوا يقرون القرى فى أيدى أهلها، كل قرية بـ 2 معلوم لا ينقص عليهم إلا فى كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقل اليسار. فإذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديدا، فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة، ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جبى الخراج (من قرى مصر) ^(١) وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد، والربع الثانى لجنده ومن يقوى به على حربته وجباية خراجه ودفع عدوه، والربع الثالث فى مصلحة الأرض وما يحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو جائحة ^(٢) بأهل القرية، فكانوا على ذلك، وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية من خراجها هى كنوز فرعون التى يتحدث الناس أنها ستظهر فيطلبها الذين يبتغون الكنوز.

وقال القاضى الفاضل: الذى استقر عليه خراج البلاد من إسكندرية إلى عيذاب إلى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة - أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسون ألف دينار، من ذلك رزق القضاة ومشايخ العلم سبعة آلاف دينار وأربعمائة دينار، والأمراء والأجناد والمقطعون مائة ألف وخمسون ألف دينار، والكتابية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة دينار.

* عود وانعطاف إلى مزايا النيل :

قال الرئيس أبو على بن سينا: أفرط ^(٣) قوم فى مدح النيل إفراطا شديدا، وأجمعوا

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٢) فى ب، ج: حائجة.

(٣) فى النسخ الخطية: أفرط. وما أثبتناه موافق لما بعده.

1 فتوح مصر وأخبارها، ص ٩٦.

2 بـ ٢: أى بأجرة.

على محامده في أربعة: بعد منبعه، وطيب مسلكه، وغمورته، وأخذه من الجنوب إلى الشمال. فأخذه عن الجنوب إلى الشمال ملطف لما يجري فيه من المياه. وأما غمورته فيشاركه فيها غيره، وأما مسلكه فالمياه التي تكون طينية المسيل خير من المياه التي تجري على الأحجار، فإن الطين ينقى الماء ويأخذ منه المزوجات الغريبة ويروقه، والحجارة لا تفعل ذلك، لكنه يجب أن يكون طين مسيلة حرا لا حمأة 1 ولا سبخة 2 ولا غير ذلك.

فإن اتفق أن يكون هذا الماء غمرا شديدا الجرية يستحيل بكثرتة ما يخالطه في طبيعته مكشوبا للشمس والرياح، وكان يأخذ إلى الشمس في جريانه فيجري إلى المشرق - كان أفضل، لا سيما إذا بعد جدا من مبدئه، ويليه ما يتوجه إلى الشمال والمتوجه إلى المغرب والجنوب ودنا، خصوصا عند هبوب ريح الجنوب.

والذى ينحدر من مواضع عالية أفضل^(١)، لا سيما إن كان خفيف الوزن سريع البرودة والسخونة.

وبعد المنبع يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته. هذا خلاصة ما ذكر ابن سينا في صفات المياه الفاضلة.

قال المقرئى 3: وكلها قد اجتمعت في ماء النيل، فإنه بعيد المنبع على ما تقدم ذكره، ويمر على أراضي حرة، ولا يغلب على تربة ما يمر به شيء من الأحوال والكيفيات الردية كمعادن النفط والشب والكباريت ونحوها، بل يمر على الأراضي التي تنبت الذهب، (بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب.

(١) هذه اللفظة ليست في ب، ج.

1 الحمأة: الطين الأسود المتين.

2 السبخة: أرض ذات ملح ونز. والجمع سبخ.

3 الخطوط (١/٦٢).

قال: وقد عاين قوم تصويل 1 الذهب^(١) من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا، وفضيلة كون الذهب في الماء لا تنكر، ثم إنه في جريانه أبدا مكشوف الشمس والرياح، وطينه من طين مسيل مياه مجتمعة من أمطار تمر على أراضي حرة، وهو شديد الغمورة والجريان، وانحداره من علو فإن الجنوب مرتفع عن الشمال، لا سيما إذا صار إلى الجنادل انحط من أعلى جبل مرتفع إلى وادي مصر، ويمر من الجنوب إلى الشمال، فيستقبله ريح الشمال الطيبة دائما. وهو خفيف الوزن، فقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من^(٢) المياه فخف عنها في الوزن. وهو غاية في عذوبة الطعم وحسن التأثير في هضم الغذاء وانحداره عن المعدة بحيث إنه يحدث بعد شربه جشاء 2.

قال: وهذه صفات إن كنت ممن قد مارس العلم الطبيعي وعرف الطب فإنه يعظم عندك قدر ماء النيل، ويتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه.

ويقال: إن ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل عجيبة، ثم قال في آخره: وليس ذلك بعجب، (ولكن العجب)^(٣) نيل مصر.

وقال بعض الحكماء: لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد، وهبوط الماء عنها عند بدء^(٤) الزراعة - لفسد إقليم مصر وتعذر سكناه؛ لأنه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية تعم^(٥) أرضه.

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٢) في الأصل: مع.

(٣) ما بين القوسين ليس في ب.

(٤) في ج: هبوط.

(٥) في الأصل: كافية. وما أثبتناه من النسخ الأخرى، وهو الموافق لما في الخطط للمقريزي (٦٢/١).

1 تصويل الذهب من الرمل: أى: تخليصه وتنقيته.

2 الجشاء: صوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة.

وفى كتاب تقويم البلدان للملك المؤيد 1 إسماعيل والأفضل على بن المظفر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن المعظم عمر بن شاهنشاه بن أيوب: نيل مصر ليس له نظير فى الوجود، وقد وصفه ابن سينا فقال: قد انفرد بثلاث صفات عن سائر أنهار الأرض، أحدها: أنه أطول أنهار الأرض، وذلك يستلزم لطافته بسبب كثرة الجريان. والثانى: أنه يجرى بين رمال وصخور فيسلم عن الحمأة ونحوها الذى لا يكاد يخلو منه نهر. الثالث: أن الحجر فيه لا يخضر كما يخضر فى غيره.

وفى شرح كتاب أبقرط: فإن قيل كيف صار ماء النيل يسيل من موضع بعيد ويحفظ جودته ولا يتغير؟

قلنا: إن العين التى يخرج منها فى سمت ناحية المشرق. وآخرون يقولون: إن الأرض التى يمر عليها ذلك الماء طينة زكية عذبة، فصار لذلك أكثر إثباتا للأشياء وأخصب وأغذى من المياه كلها.

وقال الصلاح الصفدى فى كتاب فض الختام عن التورية^(١) والاستخدام: أما أهل مصر فقد شربوا ماء النيل وهو أحد أنهار الجنة، وترشفوا منه حلاوة لا تكون فى حشا النظر مستجنة، كما قال فيه بعض واصفيه: كأنه طحينة وماؤه مثل العسل، ومن عذبت^(٢) قطرات مياههم لطفت كلمات شفاهم. وإذا كانوا قد نشبوا^(٣) فى حلية الحلاوة سرى فى المجاورة طلية الطلاوة 2 كما قال فيهم على بن سعيد المغربى: أيا ساكنى مصر غدا النيل جاركم فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

(١) فى الأصل: التوريت. وجاء فى هامش الأصل على الصحيح. وفى ج: التورة.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

(٣) فى ب، ج: نشأوا.

1 هو إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالملك المؤيد، صاحب حماء، مؤرخ جغرافى، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، ونظم الشعر وليس بشاعر. توفى سنة ٧٣٢هـ.

2 الطلاوة: بثليث الطاء، الحسن والرونى.

وكان بتلك الأرض سحر وما بقى سوى أثر يبدو على النظم والنثر

قال: والأوصاف المحمودة التي شرطها ابن سينا وغيره من الحكماء لا تجتمع إلا في النيل، وزعم أهل التجارب أنه من أقام بمصر سنة وجد في طباعه وأخلاقه رقة وحسنا.

قال: وإذا سلكت محجة الإنصاف، وظهرت حجة الحق التي هي أكمل الأوصاف، وجدت شعر الديار المصرية في هذا النوع المخصوص أجداً^(١) وأجود، ومتكلمهم إذا قام بالتورية أقعد، ومقاصدهم في ذلك أسعف وأسعد. انتهى.

(١) في ب: أحمد.

ذكر عجائب النيل

(التمساح):

قال صاحب مرآة الزمان: ذكر أحمد بن بختيار أن بالنيل عجائب منها: التمساح، ولا يوجد إلا فيه، ويسمى في مصر التمساح، وفي بلاد النوبة الورل، ووراء النوبة الشوشار.

قال: والتمساح لا دبر له، وما أكله يتكون في بطنه دودا، فإذا أذاه خرج إلى البرية فينقض عليه طائر فيأكل ما بين أسنانه وما يظهر من الدود، وربما يطبق عليه التمساح فيبلعه.

وذكر ابن حوقل أن بنيل مصر أماكن لا يضر التمساح فيها كعدوة بوضير والفسطاط.

وقال القزويني في عجائب المخلوقات: التمساح حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء، له فم واسع، له ستون نابا في فكه الأعلى وأربعون^(١) نابا في فكه الأسفل، وبين كل نابين سن صغيرة مربعة يدخل بعضها في بعض عند الانطباق، ولسان طويل، وظهر كظهر السلحفاة، ولا يعمل فيه الحديد، وله أربعة أرجل، وذنب طويل، ورأسه ذراعان وغاية طوله ثمانية أذرع، يحرك فكه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات، ولا يقدر على أن يلتوى، ولا أن ينقلب؛ لأنه ليس لظهره خرزات، بل ظهره قطعة واحدة، وهو كرية المنظر جدا، كثير العدوان، يلتقم

(١) في الأصل: أربعين. والوجه ما أثبتناه من بقية النسخ.

الآدمى والشاة، ويقتل الخيل والجمال، ولا يوجد إلا فى النيل ونهر الهند^(١)، وإذا رأى إنسانا على طرق الماء يمشى تحت الماء حتى يقرب منه، ثم يثب وثبة واحدة، ويبيض كالطيور، ويشم من بيضه رائحة المسك، وزبله يخرج من فيه إذ لا منفذ له، فإذا أكل يبقى فى خلال أسنانه يتولد منه الدود، فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس، فيأتيه طائر مثل الطيوطرى ويدخل فيه ويلتقط ما فى خلال أسنانه، فإذا التمساح علم أنه نقى خلل أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله، وقد خلق الله سبحانه وتعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة، فيضرب به حنك التمساح فيرفع حنكه فيطير الطائر، وإذا انقلب التمساح لم يستطع أن يتحرك. وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأنثاه معه فألقى الأنثى على ظهرها، فإذا قضى وطره قلبها، فإن تركها صيدت فإنها لا تقدر أن تنقلب.

قال: ومن خواصه: زعموا أن عينه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال، اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى، وسنه الأيمن يعلق على الإنسان يزيد فى الباه 1، وأول سن من فكه الأيسر يعلق على صاحب القشعريرة يذهب فى الحال، ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين، وشحمه يجعل ضمادا على عضته فإنه نافع فى الحال، وكبدته يدخن بها على المصروع يزول ما به، وزبله يزيل بياض العين اكتحالا، وجلده يشد على جبهة الكرش يغلب فى النطاح. انتهى.

وقال المسعودى: التمساح آفته من دويبة^(٢) تكون فى سواحل النيل وجزائره، وهو أن التمساح لا دبر له، وما يأكله يتكون فى بطنه دودا، فإذا خاف أذاه خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فينقض عليه طير الماء وقد اعتاد منه ذلك، فيأكل ما يظهر من جوفه (من ذلك الدود العظيم، وتكون تلك الدويبة على جسر^(٣) جوفه، ثم يفرق

(١) فى ب، ج: السند.

(٢) فى الأصل: دويته.

(٣) هذه اللفظة ليست فى ج.

جوفه) ^(١) ويخرج، وربما قتل نفسه قبل أن يخرج فيخرج بعد موته، وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب.

ويقال: إنه كان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول لها، وكان التمساح لا يستطيع المرور حوله، بل كان إذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فتعبث به الصبيان إلى أن يجاوز المدينة، ثم يعود له فيستوى ويرد إلى طباعه، ثم إن هذا الطلسم كسر وبطل عمله.

ويقال: إن التمساح يبيض كبيض الأوز، وربما تولد منه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع، وتزداد طولاً كلما عمرت.

والتمساح يجامع ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد، وسنه اليسرى مانعة للنافض.

وقال ابن البيطار 1: التمساح في النيل كثير، ووجد في نهر مهران.

وقال ابن زهير: كل حيوان يحرك فكه الأسفل إذا أكل إلا التمساح، فإنه يحرك فكه الأعلى دون الأسفل، وإذا عقر ^(٢) التمساح إنساناً فوضع على العضة شحم التمساح برئ من ساعته، وشحمه إذا عجن بسمن وجعل منه فتيلة فأسرج في نهر أو أجمة - لم تنق صفادعها ما دامت تقد، وإن لطخ بشحمته جبهة كبش قهر كل كبش يناطحه وهرب منه، وكبده يبخر به المصروع يبرأ، وإن قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام أوقفه ولم يزد ^(٣)، وإن حملت بيضته اليمنى على رجل من الجانب الأيمن زاد في جماعه، وعينه اليمنى (لمن يشتكى عينه اليمنى واليسرى

(١) ما بين القوسين ليس في ب.

(٢) في ب، ج: عقل.

(٣) في الأصل: يزل. وما أثبتناه من النسخ الأخرى أوفق بالسياق.

1 هو أبو محمد، ضياء الدين، عبد الله بن أحمد المالقي، المعروف بابن البيطار، إمام النباتيين وعلماء الأعشاب، ولد في مالقة وتعلم الطب، وكان حجة في معرفة أنواع النبات وتحقيق أسائه وصفاته وأماكنه، وكان رئيس العشابين في الديار المصرية. توفي بدمشق سنة ٦٤٦ هـ.

للسرى^(١)، وشحمه إذا أذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في الباه. وإذا أخذ دم التمساح وخلط به إهليلج 1 وأملج 2 وطلّى به على الوضع 3 أذهبه وغير لونه، وإذا طلى على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة 4. وإذا أكل لحمه أسفيد باجاه (كذا) سمن البدن النحيف، وإذا قطر^(٢) شحمه بعد أن يذاب في الأذن الوجيعة منعها^(٣)، وإن أدمن تقطيره في الأذن نفع من الصمم، وإذا ادهن به صاحب حمى الربع 5 سكنت عنه، ولحمه ردىء الكيموس 6، وإذا طيف بجلده حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية.

قال صاحب سجع الهديل: دخل أبو نواس مصر، فركب ذات يوم النيل متنزها، فأراد السباحة في موضع منه فحذر من التمساح؛ فقال:

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية إذ مقلت مقلتي التمساح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كذب فما أرى النيل إلا فى البواقي^(٤)

* (السقنقور)^(٥):

وقال صاحب مرآة الزمان: فى النيل السقنقور، وقيل إنه من نسل التمساح إذا

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل: لم يشتك عينه اليسرى لم يشتك اليسرى.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، وفى ج: طلى.

(٣) فى ج: أذهبها.

(٤) فى البيتين بالأصل تصحيف وتحريف أخرجهما عن دائرة الفهم، والتصويب من ديوان أبى نواس.

البواقي هى الجرار بلغة القبط واحداً باقلة.

(٥) فى ب، ج: السقنقور. وذلك فى المواضع التى ذكر فيها كلها.

1 الإهليلج: شجر ينبت فى الهند والصين، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

2 أملج: مص.

3 الوضع: البياض من كل شىء. والمراب به هنا: البرص.

4 الشقيقة: ألم ينتشر فى نصف الرأس والوجه.

5 حمى الربع: هى التى تعرض للمريض يوماً وتدعه يومين، ثم تعود إليه فى اليوم الرابع.

6 الكيموس: الخلاصة الغذائية.

وضعه خارج الماء، فما قصد الماء صار تمساحا، وما قصد البر صار سقنقورا، وله قضيبان كالضرب.

وقال صاحب عجائب المخلوقات: السقنقور قال ابن سينا: إنه ورل 1 مائى يصاد فى نيل مصر. وقال غيره: إنه من نسل التمساح، وذكروا أنه إذا عض إنسانا فغسل الإنسان معضه بريقه قبل عوده إلى الماء مات العاض، وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان، (وله قضيبان كالضرب) ^(١)، ولحمه إذا أكل هيج قوة الباه، وشحمه يهيج الباه تهيجا لا يسكن إلا بحسو ^(٢) مرق الخس، وحزرتة الوسطى التى فى صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيج الباه.

وقال ابن البيطار: للذكر من السقنقور إحليلان وللأنثى فرجان، والسقنقور يعض الإنسان، ويطلب الماء، فإن وجده دخل فيه، وإن لم يجده بال وتمرغ فى بوله، فإذا فعل ذلك مات العضوض لوقته وسلم السقنقور، فإن اتفق أن سبق العضوض إلى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء، ويتمرغ فى بوله قبله - يموت السقنقور لوقته ويسلم العضوض. والسقنقور يهيج السفاد ^(٣) فى الربيع، ولحمه يهيج شهوة الجماع (ويزيد فى الإنعاض 2) ^(٤)، ولا يوافق استعماله ^(٥) من مزاجه حار يابس، وإنما يوافق ذوى الأمزجة الباردة الرطبة. والقدر الذى يستعمل منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت، ولا يوجد السقنقور إلا فى بلد الفيوم خاصة.

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٢) فى ج: بحشو.

(٣) فى الأصل: الفساد. وهو تصحيف. والسفاد: الجماع.

(٤) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٥) زاد بعدها فى ب، ج: إلا. وهو خطأ لعدم اتساقه مع الجملة بعده.

1 الورل: حيوان من الزحافات أطول من الضب وأقصر من التمساح يكون فى البر والماء.

2 الإنعاض: الشبق وانتشار الذكر.

(وقال صاحب مرآة الزمان: إنه يكون في أسوان وفي حدودها) (١).

وفي (الخطط) 1 للمقريزي: أنه يتولد من السمك والتمساح، فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأن له ذنبا أجرد أملس عريض غير مضرس، وذناب التمساح مسيف مضرس.

*** (الرعاد):**

قال المسعودي: في نيل مصر عجائب كثيرة من الحيوانات، من ذلك السمك المعروف بالرعاد، وهي نحو الذراع، إذا وقعت في شبكة الصياد أرعدت (٢) يده وعضده فيعلم بوقوعها، فيبادر إلى إخراجها، ولو أمسكت بخشب أو قصب فعلت ذلك. وقد ذكرها جالينوس وقال: إن جعلت على رأس من به الصداق أو الشقيقة، وهي (٣) في الحياة - برئ من ساعته، وإذا أذيب بين مقعدة من انقلبت مقعدته وبرزت إلى خارج أصلحها بشرط كونه حيا في الصورتين. قال ابن البيطار: إنما تنفع ما دام حيا.

قال بعضهم: الزيت الذي يطبخ به يسكن أوجاع المفاصل إذا دهنت به، وإذا علقت المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطق زوجها الصبر عنها، وكذلك إن علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة تفارقه (٤).

وقال المقريزي في (الخطط) 2: نفعها في البرء من الحمى إذا علقت على المحموم عجيب.

(١) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

(٢) في الأصل: أرعشت.

(٣) هذه اللفظة ليست في ب.

(٤) في الأصل: فراقه.

وفى عجائب المخلوقات: الرعاة إذا قربت من المصروع^(١) وهى حية أخدرته
عن الحس، وإذا علقت المرأة منها شيئاً على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها.

وقال ابن المتوج: بمصر بقلّة من مسها بيده ثم مس الرعاد لم يرعد.

ومن اللطائف قول الأديب شرف الدين البوصيرى 1 صاحب (البردة) فى زين
الدين المحلى المعروف بالرعاد.

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجى
فشعرى بحر لا يرى فيه ضفدع ولا يسلك الرعاد (يوما له)^(٢) لجا

*فرس البحر:

قال صاحب مرآة الزمان: فى النيل سمكة على صورة الفرس، والمكان الذى
تكون فيه لا يقربه تمساح.

وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات: فرس الماء هو كفرس البر إلا أنه أكبر
عرفا وذنبا وأحسن منه لونا، وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش، وجثته دون
فرس البر، فوق الحمار بقليل^(٣)، وربما يخرج هذا الفرس من الماء وينزو على فرس
البر فيتولد منهما ولد فى غاية الجودة والحسن.

حكى أن الشيخ أبا القاسم عركان نزل على ماء ومعه حجرة 2، فخرج من الماء
فرس أدهم عليه نقط بيض كالدرهم ونزا على حجرته، فولدت مهرا شبيها بالذكر
عجيب الصورة، فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المكان والحجرة والمهر معه

(١) فى ب: المروع.

(٢) فى ج: له يوما.

(٣) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

1 هو أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى، كاتب شاعر متصوف، حسن الديباجة مليح
المعاني، وأشهر شعره البردة والهمزية فى مدح رسول الله ﷺ. توفى بالإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ.

2 الحجرة: أنثى الفرس.

طمعا في مهر آخر، فخرج الفحل وشم مهره، ثم وثب في الماء ووثب المهر بعده فكان الشيخ يعاود المكان بالحجرة.

وقال عمر بن سعد: فرس الماء يؤذن بطلوع النيل، فإنهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل يصل إلى ذلك الموضع، وسنه نافع لوجع البطن.

وذكروا أن السودان الساكنين بشاطئ النيل إذا أخذهم المغص يشدون السن على هذا العليل فيزول في الحال، وعظامه تحرق وتخلط بشحمه ويضمدها السرطان يردعه ويزيل أثره في الحال، وخصيته تجفف وتحرق وتسحق^(١) وتشرب لنهش الهوام، وجلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شيء من الآفات، ويحرق ويجعل على الورم فيسكن. انتهى.

وقال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب (أخبار النوبة^(٢)): مسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بين دنقلة وأسوان، وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضعاف ما في الجانب (الذي يلي أرض الإسلام، وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال)^(٣) والوحش والسباع، ومفاوز (يخاف فيها العطش)^(٤)، والنيل ينعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسافة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر، وفرس البحر يكثر في هذا الموضع.

حدثني ميمون صاحب (عهد علوة): أنه أحصى في جزيرة دابة منها وهي من ذوات الشطوط في خلق الفرس وغلظ الجاموس، قصيرة القوائم لها خف، وهي في ألوان الخيل (بأعراف وآذان صغار كأذان الخيل وأعناقها، كذلك وأذناها مثل أذنان الجواميس)^(٥)، ولها مخطم عظيم يظن الناظر أن عليها مخللة، لها صهيل

(١) هذه اللفظة ليست في ب، ج.

(٢) في ب، ج: النبوه.

(٣) ما بين القوسين ليس في ب.

(٤) ما بين القوسين ليس في النسخ الخطية، وما أثبتناه من الخطط للمقريزي (١/٦٥).

(٥) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

وأنياب، لا^(١) يقوم حذاءها تمساح، وتعرض المركب عند الغضب فتغرقها، ورعيها في البر^(٢) العشب، وجلدها فيه متانة^(٣) عظيمة يتخذ منه أتراس. انتهى.

وفي (الخطط) 1 للمقريزي: أنه يأكل التمساح أكلا ذريعا، يقوى عليه قوة ظاهرة. وقال المسعودي: الفرس الذي يكون في نيل مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه إلى بعض المواضع من الأرض، علم أهل مصر أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه، لا يتخلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب. وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الزرع، فإنه يرعاه ويرعى في الليلة الواحدة شيئا كثيرا، فإذا رعى وشرب الماء قذف ما في جوفه في مواضع شتى، فينبت ذلك مرة ثانية، وإذا اتصل ضرره بأصحاب الزرع طرحوا له الترمس كثيرا جدا مفرقا، فيأكله ثم يعود إلى الماء، فإذا شرب ربي الترمس في جوفه وانتفخ فيموت ويطفو على الماء، والموضع الذي يرى فيه لا يرى فيه تمساح، وهو على صورة الفرس إلا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك، وجبهته واسعة. انتهى.

قلت: قد ظهرت فرس بالنيل في سنة أربع وتسعين^(٤) وثمانمائة، ورأيناها في بحر الروضة، وأقامت أياما تظهر فاستبشروا بعلو النيل في هذه السنة، وكان الأمر كذلك، فزاد النيل أصابع من عشرين، وثبت ثباتا جيدا.

*** (كلب الماء):**

قال في عجائب المخلوقات: هو حيوان مشهور، يده أقصر من رجليه، ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه التمساح طينا، ثم يدخل جوفه ويقطع أمعاءه فيأكلها، ثم يمزق بطنه ويخرج منه، وكذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن من التمساح.

(١) حرف النفي مثبت من الخطط (١/٦٥).

(٢) في ب، ج: البحر.

(٣) في الأصل: تنانة. والصواب ما أثبتناه لموافقه للسياق.

(٤) في الأصل: وستين.

وذكروا أن جندبيد ستر^(١) خصية هذا الحيوان، وأن الصيادين إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه، فإن وقع في الشبكة مرة أخرى استلقى ورفع رجله يعلمهم أن خصيته ذهبت ليخلصه الصياد من الشبكة، ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالاً، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل، وخصيته تنفع في نهش الهوام، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس^(٢) يزول عنه. انتهى.

*** (شيخ البحر):**

قال صاحب مرآة الزمان: في النيل شيخ البحر، سمكة على صورة آدمى، وله لحية طويلة، ويكون بناحية دمياط، وهو مشئوم، فإذا رئي في مكان دل على القحط والموت والفتن، ويقال: إن دمياط ما تنكب^(٣) حتى يظهر عندها.

(١) في ب، ج: جندينه ستر. والجند بيد ستر: دواء يعالج به بعض الأمراض. انظر قانون الطب، لابن سينا (٤١٧/١).

(٢) في ب: النقرس. والمنقرس: المصاب بمرض النقرس، وهو مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم، خاصة في إبهامها.

(٣) في ج: تغلب.

ذكر المقياس

قال المقرئى فى (الخطط) 1: وبطرف الروضة المقياس الذى يقاس فيه ماء النيل الآن ^(١)، ويقال له: المقياس الهاشمى، وهو آخر مقياس بنى بديار مصر.

قال أبو عمرو الكندى: ورد كتاب الخليفة المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل، ويعزل النصارى عن قياسه، فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرداد المعلم، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج سبعة دنانير، وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين.

وعلاوة وفاء النيل ستة عشر ذراعاً أن يسبل ابن أبى الرداد قاضى البحر الست الأسود الخليفة على شبك المقياس هذا، فإذا شاهد الناس الست قد أسبل تباشر الناس بالوفاء، واجتمعوا على العادة للفرجة من كل ناحية.

وما أحسن قول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار فى تهتك الناس يوم تخليق المقياس عند اجتماعهم:

تهتك الخلق للتخليق قلت لهم	ما أحسن الست قالوا العفو مأمول
ستر الإله علينا لا يزال فما	أحلى تهتكنا والستر مسبول

(١) فى ب، ج: اليوم.

وقال ابن عبد الحكم 1: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، ووضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة بنت زباء مقياسا بأنصنا، وهو صغير الذرع، (ومقياسا بإخميم) ^(١).

ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان، وهو صغير.

ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهي الروضة، وهو أكبرها.

حدثنا يحيى بن بكير قال: أدركت القياس يقيس في مقياس منف، ويدخل بزيادته إلى الفسطاط. وهذا ما ذكره ابن عبد الحكم.

قال التيفاشي: ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة، وأسس له ولم يتمه، فأتم المتوكل بناءه، وهو الموجود الآن.

وقال المسعودي: أول من عمل مقياسا لزيادة النيل حصليم ملك مصر، وكان [قبل] ^(٢) وجود نوح عليه السلام، وإنما بعث نوح في زمن الملك برصال ^(٣) الذي ولى مصر بعد موت حصليم، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة، فعملوا له بيتا من رخام على حافة النيل، وجعل في وسطه فسقية ^(٤) من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حافة الفسقية ^(٥) عقaban 2 من نحاس ذكر وأنثى، فإذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل فتح البيت، وجمع الكهان فيه بين يديه، وتكلموا بكلام

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٢) هذه اللفظة ليست فى النسخ الخطية، وأثبتناها من الخطط للمقريزى (٥٨/١) ليستقيم الكلام.

(٣) فى ب، ج: هو صال.

(٤) فى ب، ج: بركة.

(٥) فى ب، ج: البركة.

1 فتوح مصر، ص ٧١.

2 عقaban: مثنى عقاب: وهو طائر قوى المخالب له منقار قصير، حاد البصر. ولفظه مؤنث للذكر والأنثى.

لهم حتى يصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر كان الماء تاما، وإن صفر الأنثى كان الماء ناقصا. فيستعدون لذلك^(١). وهو الذى بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل.

وقال القضاعى: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، وضع مقياسا بمنف.

وقيل: إن النيل كان يقاس بأرض علوة إلى أن بنى مقياس منف، فكانت القبط تقيس عليه إلى أن بطل، وبنت العجوز مقياسا بأنصنا، وهو صغير الذرع، ومقياسا آخر بإخميم.

وقيل: إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصافة^(٢)، ولم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية (الأكسية، ومعاله)^(٣) هناك إلى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أنبيتهم الباقية.

وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب أثره قائم إلى اليوم، ثم بنى عمرو ابن العاص عند فتحه مصر مقياسا بأسوان، ثم بنى بموضع يقال له دندره، ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا، فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله، وكان هذا المقياس صغير الذرع، فأما الكبير الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد التنوخى و (قيل: إنه كسر فيه ألفى إقنيز^(٤))، وهو الذى بنى بيت المال بمصر، ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى^(٥) عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه، فكتب إليه سليمان أن يبنى مقياسا بالجزيرة، فبناه فى سنة سبع وتسعين من الهجرة، ثم بنى المتوكل فيها مقياسا فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين.

(١) فى ب، ج: ذلك.

(٢) فى الخطط للمقريزى (٥٧/١): بالرصافة.

(٣) فى الأصل: (الأكسية ومعللة).

(٤) فى الخطط (٥٧/١): أوقية. والأقنيز: وعاء ضخم.

(٥) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

وقدم من العراق محمد بن كثير الفرغانى المهندس فبنى بناءه، وذلك فى ولاية يزيد بن عبد الله، فجعل يزيد على المقياس أبا الرداد المعلم، واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤدب، أصله من البصرة، وقدم مصر وحدث بها، فجعل على قياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر، فلم يزل من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى اليوم.

وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين.

ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه (والقاضى بكار بن قتيبة) ^(١)، فنظر إلى المقياس، وأمر بإصلاحه، وقدر له ألف دينار فعمر بها، وبنى الخازن فى الصناعة مقياسا، وأثره باق. انتهى.

وقال صاحب مرآة الزمان: المقياس الظاهر الآن بناه المأمون، وقيل: إنما بناه أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ودثر، فجده المأمون، وبنى أحمد بن طولون مقياسين أحدهما بقوص وهو قائم اليوم، والآخر بالجزيرة وقد انهدم.

وقال غيره: كتب الخليفة جعفر المتوكل إلى مصر يأمر ببناء الجديد الهاشمى فى الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان الذى يتولى أمر المقياس النصارى، فورد كتاب المتوكل على قاضى مصر بكار بن قتيبة بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره، فاختار القاضى بكار لذلك أبا الرداد عبد الملك ^(٢) بن عبد السلام المؤدب، فأقامه لمراعاة المقياس وأجرى عليه الرزق، وبقي ذلك فى ولده إلى اليوم.

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٢) كذا بالنسخ الخطية، وقد سبق أن اسمه عبد الله. وهو الموافق لما فى الخطط للمقريزى (٥٨/١).

وقال ابن يونس 1 في تاريخ^(١) مصر: كان أصل أبي الرداد من البصرة، وقدم مصر وحدث بها، ومات سنة ست وستين ومائتين.

وقال القضاعى: وجدت في رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال: لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقي أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن مده في مقياس لهم فضلاً عن تقاصره، وأن فرط الاستسعار يدعوهم إلى الاحتكار، ويدعو الاحتكار إلى تصاعد الأسعار بغير قحط، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله عن شرح الحال، فأجابه عمرو: "إنى وجدت ما يروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعاً، والحد الذى يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعاً، والنهائيتين المخوفتين في الزيادة والنقصان - وهما الظمأ والاستبحار - اثني عشر ذراعاً (في النقصان وثمانية عشر ذراعاً)^(٢) في الزيادة". هذا والبلد في ذلك الوقت^(٣) محفور^(٤) الأنهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط وخمير العمارة فيه. فاستشار عمر بن الخطاب على بن أبى طالب في ذلك، فأمره أن يكتب إليه بأن يبنى مقياساً، وأن يضيف^(٥) ذراعين على اثني عشر ذراعاً، وأن يقر ما بعدها على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر إصبعين. ففعل ذلك وبناه بحلوان. فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الإرجاف، وزال ما منه كان يخاف، بأن جعل الاثنى عشر ذراعاً أربعة عشر ذراعاً، لأن كل ذراع أربعة وعشرون أصبعاً،

(١) هذه اللفظة ليست في ب، ج.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) هذه اللفظة ليست في ب، ج.

(٤) في ب: محصور.

(٥) كذا وردت بالنسخ المخطوطة. والوجه: يضيف، إذ لم يسبقها جازم.

1 هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدقي، مؤرخ ومحدث، وهو والد العالم الفلكي ابن يونس، له تاريخان أحدهما كبير في: أخبار مصر ورجالها، والثاني صغير في: ذكر الغرباء الواردين على مصر. توفي سنة ٣٤٧ هـ.

فجعلها ثمانية وعشرين من أولها إلى الاثنى عشر يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانية وأربعين أصبعا وهى الذراعان، وجعل الأربعة عشر ستة عشر، والستة عشر ثمانية عشر، والثمانية عشر عشرين ذراعا، وهى المستقرة الآن.

قال القضاعى: وقد فسد هذا فى وقتنا هذا لفساد الأنهار وانتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع.

والمقياس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناه أسامة بن زيد بالجزيرة، وهو الذى هدمه الماء، وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالسروقات^(١)، وبنى المتوكل آخر بالجزيرة، وهو الذى يقاس عليه الماء الآن.

وقال ابن عفير عن القبط المتقدمين: إذا كان الماء فى اثنى عشر ذراعا من مسرى فهى سنة ماء وإلا فالماء ناقص، وإذا تم ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم.

وقال أبو^(٢) الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى: يبتدئ النيل بالزيادة فى شهر أبيب، والمصريون يقولون: إذا دخل أبيب كان للماء ديب. وعند ابتدائه فى الزيادة تتغير جميع كفياته وتفسد، والسبب فى ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله. فإذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد فى السادس عشر أصبعا واحدا كسر الخليج، ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجمع خاص يحضره العام والخاص، وإذا كسر فتحت الترع، وهى فوهات الخليجان، ففاض الماء وساح، وعمر القيعان والبطاح، وانضم الناس إلى على مساكنهم من المنازل والضياع، وهى على آكام وربى لا ينتهى الماء إليها ولا يتسلط عليها، فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبلتها، ريثما^(٣) يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله تعالى، وأكثر ذلك يحوم حول ثمانية عشر ذراعا، يأخذ

(١) فى ب، ج: بالروقات.

(٢) فى الأصل: ابن.

(٣) فى الأصل، ب: ربما وفى ج: وربما. والمثبت من الخطط (٥٦/١).

عائداً في نصيبه ^(١) إلى مجرى النيل ويسير، فينضب أولاً عما كان من الأرض عالياً، ويصير فيما كان منها متطامناً، فيترك كل قرارة كالدrehم، ويغادر كل ترعة كالبرد المسهم.

وقال ابن ميسر في تاريخ مصر: نقلت من كتاب الديارات ^(٢) المصرية: أن الخليفة الأمر بأحكام الله رتب في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قاضي القضاة أبا عبد الله محمد بن ميسر (مشاوفا على ثقة الدولة ابن أبي الرداد في قياس الماء وعمارة المقياس ومصلحه) ^(٣)، فبقى مستمرا فيها إلى أن قتل ابن ميسر فلم ينظر بعده أحداً على هذه الجهة، واستمر ابن أبي الرداد بمفرده، وأطلق له في كل سنة مائة قنطار جبر لعمارة المكان.

وقال المقرئ في (الخطط) 1: كان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم منها لكس مجارى الماء خمسون دينارا في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد.

قال: والمقياس عمود رخام أبيض مثنى في موضع ينحصر ^(٤) فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى فإنها مفصلة على ثمانية وعشرين أصبعاً كل ذراع.

قال: وأكثر ما يبقى في قاع المقياس تسعة أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً، وأقل ما وجد ذراع وعشرة أصابع، وذلك في سنة خمس وستين ومائة، وأكثر ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة، فإنه بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر أصبعاً،

(١) في ب، ج: نفسه.

(٢) في ب، ج: الديار.

(٣) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

(٤) في الأصل: ينجر. وما أثبتناه من بقية النسخ الخطية، وهو الموافق لما في الخط (٦٠/١).

وأقل ما كان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في أيام كافور، بلغ اثني عشر ذراعاً وتسع عشرة أصبعاً.

قال: وذكر ابن ميسر في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة أنه بلغ تسعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، وبلغ الماء الباب الجديد أول (الشارع خارج باب زويلة، وكان الناس يتوجهون) ^(١) إلى القاهرة من مصر من ناحية المقابر، وأظهر الحافظ لدين الله (الحن) ^(٢) لذلك، وأخرج كتاباً فيه: إذا وصل الماء إلى الباب الجديد انتقل الحافظ عبد المجيد.

وقال: هذا الكتاب الذي يعلم منه أحوال دولتنا وما يأتي بعدها، فمرض الحافظ في آخر هذه السنة، ومات في أول سنة أربع وأربعين.

قال: وذكر القاضي الفاضل 1 في سنة سبع وسبعين وخمسمائة أن النيل أوفى ستة عشر ذراعاً في السادس عشر من مسرى، وأنه لا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن ^(٣) متقدم.

قال المقرئ 2: وهذا مما تغير فيه القانون في زماننا، وقد أوفى في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة في التاسع والعشرين من أبيب.

قال: وهذا من أعجب ما يؤرخ في زيادة النيل. قال: وأوفى سنة تسع وسبعمائة في تاسع عشر بابه بعد النوروز بسبعة ^(٤) وأربعين يوماً.

قال: وذكر القاضي الفاضل في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة في أيام الملك العزيز

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) في الأصل: زمنه.

(٤) في ب، ج: بتسعة.

1 هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل، من أئمة الكتاب، كان من وزراء صلاح الدين، ولد بعسقلان وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفي فيها سنة ٥٩٦ هـ.

2 الخطوط (٦٠/١).

عثمان ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب أنه باشر كسر بحر أبى المنجا بنفسه، وأن النيل زاد فيها ثمانية عشر أصبعا من ثمانية عشر ذراعا.

قال: وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة^(١) الكبرى.

قال المقرئى 1: فانظر كيف سمي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى، ولو بلغ في زماننا هذا القدر فقط لحل بالبلاد بلاء^(٢) عظيم، وذلك لما أهمل من عمل الجسور.

قال: وقانون النيل اليوم أنه يزيد في القيظ الشديد^(٣) إذا حلت الشمس برج السرطان والأسد والسنبلة حتى تنقص عامة الأنهار التي في المعمور، وتبتدئ الزيادة من خامس بؤنة، وتظهر في ثانی عشرة، وأول دفعة في ثانی أبيب، وتنتهى زيادته في ثامن بابه، ويأخذ في النقصان في العشرين منها. ومن العادة أن ينادى عليه في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعدما يؤخذ قاعه وهو ما بقى من الماء القديم، ويفتح الخليج الكبير إذا وفي الماء ستة عشر ذراعا.

قال: وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من أصبع من عشرين. قال: وكنا نعهد الماء إذا بلغ أصابع من عشرين فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع، فمن سنة ست وثمانائة إذا بلغ الماء أصبعا من عشرين لا يعم الأرض كلها لما فسد من الجسور، وكان إلى بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة، وهى في الحقيقة ثمانية عشر. وكانوا يقولون: إذا زاد على ذلك ذراعا واحدا زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من البلاد العالية، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى، فإن الثمانية عشر في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا في الصعيد الأعلى، فإن زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الأراضي المنخفضة.

(١) في ب، ج: الحجة.

(٢) في ب، ج: غلاء.

(٣) هذه اللفظة ليست في الأصل.

* ذكر ذراع النيل كيف وضع ؟

قال الإمام أبو الحسن الماوردى 1 صاحب الحاوى الكبير، أحد أئمة أصحابنا، فى كتاب (الأحكام السلطانية): وأما الذراع السوداء ^(١) فهى أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثى أصبع، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد، قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه قائما، وهى التى يتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

* ذكر المناداة بزيادة النيل :

قال المسيحي فى تاريخه: خرج أمر صاحب القصر إلى ابن حران بتحرير ^(٢) ما يستفتح به القياسون كلامهم إذا نادوا على النيل، فقال: نعم لا تحصى من خزائن لا تفنى، زاد الله فى النيل المبارك.

كذا، وذكر ابن زولاق فى سيرة المعز لدين الله أنه منع فى شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة من النداء بزيادة النيل، وأن لا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر القائد، فإذا تم ستة عشر ذراعا وكسر الخليج أباح النداء، وذلك لما يحصل عند الناس إذا توقفت الزيادة يوما أو أياما من القلق والانزعاج وحبس الغلات عن البيع وارتفاع السعر.

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر 2 فى العود الذى يطلع به قياس النيل فى كل يوم بزيادة النيل:

(١) فى ب: السودان. وفى ج: السودانى.

(٢) فى الأصل: وتحرير.

1 هو على بن محمد بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردى الشافعى، أفضى القضاة، فقيه أصولى مفسر، ولد فى البصرة وانتقل إلى بغداد، وولى القضاء فى بلدان كثيرة، كان يميل إلى مذهب الاعتزال فى بعض المسائل. توفى سنة ٤٥٠ هـ.

2 هو محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى، قاض أديب مؤرخ، من أهل مصر مولدا ووفاة. توفى سنة ٦٩٢ هـ.

قد قلت لما أتى المقسى وفى يده
أيام سلطاننا سعد السعود وقد
عود به النيل قد عودى وقد نودي
صح القياس بجرى الماء فى العود

وقال المعمار فى أصابع الزيادة:

إن يسأل الخزان عن
قل ويك خمس أصابع
حال الزيادة فض فاه
وانزل بكفك فى قفاه

وقال أيضا:

قد زاد بحر النيل بعد الوفا
وأمرض الخزان فانظر وجهه
منه أصبعين لأصابت ذاك عين
كيف ^(١) غدا من سقمه على أصبعين ^(٢)

وقال أيضا:

جاء الرخاء ووافى النيل وانفجرت
وراح خزانه ^(٣) للنيل ينظره
عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقال القيراطى:

البحر زاد ولم يدع
أبصرته من أصبع
خزان مصر قرير عين
والوجه منه على اصبعين

وقال أيضا فى إسبال الستر:

قلت له لما وفى موعدى
رب كما فرحتنى بالوفا
مختفيا عن حاسد معتدي
أسبل عليه الستر يا سيدى

(١) هذه اللفظة ليست فى ج.

(٢) كذا بالأصل، ويلاحظ أن البيتين مختلفان وزنا.

(٣) فى ب: خزيانه.

وقال غيره:

توقف البحر حين جرى جودك ذا العام باحتباس
وكان من قبل فى ازدياد لو لم يجاريك^(١) باختلاس
(إن فى الورى جواد قاسوا)^(٢) أنت جواد بلا قياس
ونظير هذا قول ابن أبى حجلة:

البحر بالقياس يجرى جوده ويداك جارية بغير قياس
الموج صفق فرحة بقدومه والنيل قبل العرس فى أعراس
وقال الصلاح الصفدى:

سقى لمصر وما حوت من أنسها وأناسها
ومحاسن فى مقسها تبدو وفى مقياسها
ومسرة كاساتها تجلى على أكياسها
وسطور در^(٣) خطها البارى على قرطاسها
ورمى كنايسها ولا تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى للنفس فى أنفاسها
ومراكب لعبت بها الأمواج فى وسواسها

وقال بدر الدين بن الحاجب مضمنا:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزهرة

(١) كذا وردت، والإعراب يقتضى أن تكون هكذا: (يجارك). ولكن أثبتت الياء لضرورة الوزن.

(٢) هذا الشطر لم يرد فى ج. والبيت كله لم يرد فى ب.

(٣) فى الأصل: قرط.

وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشايره

وقال الصاحب فخر الدين بن مكاس:

انظر إلى النيل ما أحلى رواه وقد فاضت عزاليه وانهلث بواده
كأن مقياسه يوم الوفا علم مخلق تملأ الدنيا بشايره

وقال الطنبدي:

إن مصرا لأطيب الأرض عندي ليس في حسنها البديع التباس
وإذا قستها بأرض سواها كان بينى وبينك المقياس

وقال الصلاح الصفدي مضمنا:

يقول لنا المقياس والنيل هابط يقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خاتته فروج^(١) الأصابع

وقال أيضا مواليا^(٢):

أصبحت مفرد ونيل الدمع قد غلق حتى لمقياس خدى بالمها خلق
واصفر جسمى وستر السقم قد علق وسد دمعى الكسر^(٣) والأرض قد ملق

وقال صاحبنا الشهاب المنصوري:

تقول لنا مصر أنا خير موطن ولا ناس في الأمصار أظرف من ناسي
فإن تك أوقات السرور قصيرة فلا تقطعوها في إلا بمقياسي

وقال البدر البشتكى:

(١) في ب، ج: قروح.
(٢) الموالى: ضرب من ضروب الشعر العامى.
(٣) في الأصل: الكثير.

وقاس الورى بالنيل يا ملك الذي حلا ووبا والنيل يبدو مرفقا
فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا
وقال أيضا يمدح قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة 1:

إذا ما قيل نائله^(١) كنيل فقل هل يستوى مال وماء
فلولا جوده فى مصر غارت عيون النيل وانقطع الوفاء
وقال المعمار:

تقول مصر حين قاسوا القرى بها أيا من ضيعوا حرمتى
بأى شىء قستمونى به وبسطة المقياس فى قبضتى
وقال الحسن بن عمر بن حبيب 2:

لم أنس قول النيل فى مقياسه بلسان^(٢) شهم للعداة مدافع
لو رام نهر أن يجاربنى على فخر^(٣) سددت عيونه بأصابعى
ومن أعيان أولاد أبى الرداد قال الحافظ شرف الدين الدمياطى فى معجمه:
صدقة بن أبى المكارم بن صدقة المصرى، شرف الدين بن أبى الرداد صاحب
المقياس، سمع ثلاثيات البخارى على الشريف أبى محمد بن يونس بن يحيى
الهاشمى فى ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، بسماعه من أبى الوقت
سمعت عليه. انتهى.

(١) فى ب، ج: يابله.

(٢) فى الأصل، ج: بلساة.

(٣) فى ب، ج: نجد.

1 هو أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الحموى، قاض، من العلماء
بالحديث وسائر علوم الشريعة، ولد فى حماء، وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بالشام
ومصر. توفى سنة ٧٣٣ هـ.

2 هو أبو محمد، بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي، مؤرخ من الكتاب المترسلين،
ولد فى دمشق ونسب إلى حلب، ثم رحل إلى مصر والحجاز. توفى سنة ٧٧٩ هـ.

وقال الإمام الحافظ المجتهد المؤرخ أبو شامة في كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين): قال العماد الكاتب في حوادث سنة أربع وسبعين وخمسمائة: في شعبان من هذه السنة توفي متولى المقياس بمصر، ففوض السلطان منصبه إلى أخيه.

قال: وهذا المقياس موضع مبنى من عهد خلفاء بنى العباس، ليعرف زيادة الماء ونقصانه بالمقياس، وهناك عمود في الماء مقسوم بالأذرع، والأذرع مقسومة بالأصابع، في مسجد ينوب في الجزيرة عن الجامع، تصلى فيه الجماعات والجمع والأعياد^(١)، ويتولاه من العهد القديم متولى من بنى أبى الرداد، ممن هو معروف بالنزاهة والعلم والسداد، وله راتب دار، ورسم وقرار.

وقال الإمام ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير من^(٢) رسالة: "هذا والنفس معلقة بمصر فإنى لم أقم"^(٣) بها شيئا يمتع نظرى. ولا يذهب وعثاء سفري^(٤). كأنها شوقتنى وما ذوقتنى، وطالعتنى ثم قاطعتنى. ولقد شاهدت منها بلدا يشهد بفضلها على البلاد، ووجدته على الحقيقة هو المصر وما عداه فهو السواد، فما رآه راء إلا ملأ عينه وصدوره، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لا يقدر قدره. وبه من عجائب الآثار ما لا يضبط بالعيان. فضلا عن الإخبار، فمن ذلك الهرمان، اللذان هرم الدهر وهما لا يهرمان. قد اختص كل منهما بعظم البناء وسعة الفناء، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير في تحليقه، ولا يدركها الطرف على شدة تحديقه، فإذا أضرم برأسه قبس ظن المتأمل نجما، وإذا استدار به قوس الغمام كان له سهما. والناس مختلفون في وضع هذين الهرمين، فالأكثر يزعم أنها وضعا عصمة من الطوفان، وعلى الحقيقة فإنهما بالإنكار لشأنهما أولى من العرفان. ولقد صدق المتنبي في قوله:

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

(١) هذه اللفظة مثبتة من ج.

(٢) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٣) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٤) في الأصل: صغرى.

ومن عجائبها أيضا: موضع يقال له المقياس، وهو بناء وضعه تجاه الفسطاط، يعلم منه ميزان النيل والارتفاع والانحطاط، وبوسط هذا البناء عمود قسم أذراعا، وقسم كل ذراع منه أصبعا أصبعا، فإذا بلغ الماء ستة عشر ذراعا عند الازدياد، يستحق حينئذ الخراج على جميع البلاد. وبظاهر مصر متنزهات كثيرة، كبركة الحبش وبركة الفيل، ومستنقعات ما يغادرها المد فتسمى متقطعات النيل، ولأهل مصر بهذه المستنقعات غرام واشتهار، ومفاخرة في تفضيلها على غيرها من الديار، وهى لعمري حسنة المنظر، شبيهة بدراهم ماثوثة على فراش أخضر".

وقال ابن نباتة وهو بدمشق يتشوق إلى المقياس والنيل:

أرق له بالشام نيل مدامعى	يجريه ذكر منازل المقياس
سقى لمصر منازل معمورة	بنجوم أفق أو ظباء كناس
وطنى سهرت له وشابت لمتى 1	وتهيم عيني فى هواه وراسى
من لى به والحال ليس بأسن	كدر وعطف الدهر ليس بقاسى
والطرف يستجلى غزالا أنسا	بالنيل لا يؤثر على بناس ^(١)

وقال أيضا:

خليلى من مصر قفا نبك فى النيل	على عيشنا بالنيل فى فلك الفلك
على مصر والهفى على مصر لهفة	يصيح بها قلبى المشوق على السبك

وقال الإمام زين الدين عمر بن وردى فى أحجية فى مقياس:

يا من لثغر العلا	والعلم أضحى يحوط
إن كنت ذا فطنة	ما مثل أحيط ^(٢) قنوط

(١) فى ب، ج: بأناس.

(٢) فى الأصل: أحيت. وفى ج: أجبث.

1 لمتى: اللمة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

ذكر يوم الوفاء وكسر الخليج

قال المقرئى 1: كان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم، وهى موسم رأس السنة أول ليلة من ليلالى المحرم، وموسم أول العام أول يوم منه، ويوم عاشوراء، ومولد النبى ﷺ، ومولد على بن أبى طالب، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة الزهراء، رضى الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وليلة أول رمضان، وغرة رمضان، وسباط رمضان، وليلة الختم، ويوم عيد الفطر، وموسم ^(١) عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وهو مولد المسيح عيسى بن مريم عليها السلام، وخميس العهد، وأيام الركوب.

قال وقد ذكر بعض المفسرين: أن يوم وفاء النيل هو اليوم الذى تواعد موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون بالاجتماع فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ 2، وقد جرت العادة أن اجتماع الناس للتخليق ^(٢) يكون فى هذا الوقت.

(١) فى ج: ويوم.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، ج. والمراد بالتخليق: تخليق المقياس.

1 الخطط (١/ ٤٧٠).

2 سورة طه، الآية ٥٩.

قال: وكان للخلفاء الفاطميين في موسم فتح الخليج وجوه من البر والركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس، وتشريف ابن أبي الرداد بالخلع وغيرها، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج، وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من العين والكسوة والمآكل والتحف.

وقال ابن زولاق في كتاب (سيرة المعز لدين الله): في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة - وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز إلى القاهرة من بلاد المغرب - ركب المعز لكسر خليج القنطرة، فكسر بين يديه، ثم سار إلى شاطئ النيل حتى بلغ إلى بنى وائل 1 فى مركب عظيم وخلفه وجوه أهل الدولة، ثم عاد إلى قصره.

وذكر المسبحى فى (تاريخه الكبير) ركوب العزيز بن المعز، وركوب الحاكم بن العزيز، وركوب الظاهر بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج.

وقال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة: وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيم، وأن يضرب الثوب الكبير^(١) الأفضلى المعروف بالقاتول، وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهايز وأربع قاعات خارجاً عن القاعة الكبيرة، ومساحته على ما ذكر مائة ألف ذراع بالذراع الكبير، خارجاً عن سرادقه، وعموده ارتفاعه خمسون ذراعاً، وكان أول ما نصب فى أيام الأفضل تأذى منه جماعة، ومات رجلان فسمى بالقاتول لذلك، وما صار يضرب إلا بحضور المهندسين ونصب عدة أساقيل بأخشاب كثيرة.

قال: ووصلت^(٢) كسوة موسم فتح الخليج برسم الخليفة وأخيه والوزير وبعض

(١) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

1 كان بنو وائل ينزلون جنوبى الفسطاط.

جهاته، وفي صبيحة هذا اليوم خلع على ابن أبي الرداد ورؤساء المراكب وغيرهم، وحمل إلى المقياس برسم المبيت والركوب ما يطول ذكره.

وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة: ولما بلغ النيل خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديقى¹ والديجاج، وتحول الخليفة إلى منظره اللؤلؤة بحاشيته، ووصلت كسوة الموسم المذكور برسم الخليفة وإخوته، والوزير وأولاده، وأربعة من خواص الدولة، وابن أبي الرداد. فلما وفى النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر، ورصت العشاريات بين أيديهما، ثم عديا في (أحدها وصلياً في المقياس)^(١)، ونزل الثقة صدقة بن أبي الرداد منزلته، وخلق العمود، وعاد الخليفة من فوره وركب العشارى الفضى والوزير صحبته، والعساكر (طول البر قبالة)^(٢)، والرهجية تخدم برا وبحرا، والصدقات والرسوم تفرق، وخلع على ابن أبي الرداد خلعة مذهبة وثوب ديقى وأربعة أكياس دراهم، ونشرت قدامه الأعلام الملونة، وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والأغنام والحلاوات شئ كثير، وهيئت المقصورة في منظره السكره برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه، وقد وقعت المبالغة في فرشها وتزيينها، وفرق ما جرت العادة به، ثم عاد إلى قصره والوزير مترجل في ركابه.

وقال: في سنة ثمانى عشرة وخمسمائة وصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج، وهى برسم الخليفة بدلتان، وبرسم أخويه^(٣) بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة، وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة، وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة، وبرسم ابن أبي الرداد وغيره عدة بدلات، وبرسم الغلمان الخاص سبعمائة قباء، وبرسم رؤساء العشاريات والنوتية من الشقق الدمياطى والفوط الحرير والمناديل شئ كثير، وما

(١) جاء مكان ما بين القوسين في ب، ج: أحدهما إلى المقياس.

(٢) جاء مكان ما بين القوسين في ب: طول قبالة. وفي ج: قبالة طول البرين.

(٣) في ج: أخيه.

1 الديقى: نسبة إلى دبيق، قرية بمصر، معروفة بجودة ثيابها.

هو برسم الهبات والصدقات من الذهب أربعة آلاف دينار وخمسمائة دينار، ومن الورق 1 خمسة عشر ألف درهم، وما هو برسم المائدة والأسمطة من الضأن والبقر وسائر الأصناف شيء كثير، ومن الأزهار والبخور والشموع كذلك.

وفي عاشر رجب بلغ النيل ستة عشر ذراعاً، فزينت العشاريات كلها والستور الدبيقى الملونة والأهلة الذهب والفضة، وبات القراء تلك الليلة في المقياس ولهم من الدراهم التي تفرق أوفى نصيب، وعدى الوزير إلى المقياس وخلق العمود بما جرت العادة به من الطيب.

وفي ثاني يوم خرج الخليفة بزي الخلافة وناموسها، بالثياب الطميم التي تذهل الأبصار، وبالمنديل بالشدة الغريبة التي ينفرد بلباسها في الأعياد والمواسم خاصة، وكانت تسمى عندهم شدة الوقار، مرصعة بنفيس الياقوت والزمرد والجوهر، وعند لباسها يتجنب الكلام ويهاب، ولا يكون سلام من أحد إلا بتقيل الأرض من بعيد من غير دنو. وركب والدولة كلها بين يديه، ونشرت عليه المظلة والمقرئون يقرءون القرآن عن يمينه، والمنشدون عن يساره، والبدادب والبوقات بين يديه، والعساكر كلها بالعدة المذهبة الحربية والآلات اللامعة المضيئة، وقد زين جميع ما بالطرق من الحوانيت والدور والمساكن وأبواب الحارات بأنواع الستور والديباج وأصناف السلاح، وملأت الحفرة^(١) الفجاج^(٢) بالصدقات والرسوم على الفقراء والمساكين وأرباب الجوامع والمساجد من طول الطريق، إلى أن وصل إلى الخيام المنصوبة، فوقف راكباً، ورجل كل من بين يديه وقبل الأرض. وأخذ الوزير بشكيمة الفرس وشق به الخيام إلى أن وصل إلى القاعة الكبرى، فجلس على سرير الخلافة واصطففت الأمراء بين يديه، وختم المقرئون القرآن، وأنشد شعراء المجلس على طبقاتهم.

(١) جاء مكان هذه اللفظة في الخطط للمقريزي (١/٤٧٤): النظارة.

(٢) في ب: الضجاج. وليست في ج.

١ الورق: بفتح الواو وكسر الراء: الفضة.

فلما فرغ آخرهم صعد إلى منظر السكرة التى بالسد، وهى من جنات الدنيا المزخرفة، وصعد معه أخويه ^(١) ووزيره وأولاد الوزير، فجلس فيها، وفتحت الطاقات التى فى المنظر، فساعة مشاهدته قبل الناس الأرض، والجند كلهم على السد ^(٢)، والقرآن والتكبير من الجانب الغربى حيث الخليفة، والرهج واللعب من الجانب الشرقى، ثم أمرهم الوزير أن يكسروه فكسروه وقبلوا الأرض كلهم وانصرفوا، وانحدرت العشاريات وهى مزينة بالذهب والفضة والستور، وغلقت الطاقات، ودخل الخليفة المقصورة التى لراحته، وكذلك الوزير والأمراء والخواص، واستدعى للوقت الى مصر من البر الشرقى، وخلع عليه بذلة مذهبة، وقبل الأرض من تحت المنظر وعدى فى البحر، ثم خلع على رؤساء بقية المراكب ومن جرت العادة له، وفرقت الرسوم على أربابها، ومدت الأسمطة، ولما استحق العود عاد الموكب بجملته وسار كما جاء أولاً، والقراء يقرءون، والصدقات تفرق بطول الطريق.

قال صاحب الذخائر: كان فى قبة العشارى الذى يعدى فيه الخليفة مائة ألف درهم وسبعة وستون ألفاً وسبعمائة درهم فضة نقرة، وإن المطلق لصناع الصاغة عن أجرة ذلك، وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة - ألفان وتسعمائة دينار.

وقال ابن الطويل: إذا أذن الله تعالى بزيادة النيل طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاعدة فى اليوم الخامس والعشرين من بؤنة، وأرخه بما يوافقه من أيام الشهر العربى فعلم ذلك من مطالعته، وأخرجت إلى ديوان المكاتب فنزلت فى المسير المرتب بأصل القاع. والزيادة بعد ذلك كل يوم مؤرخا بيومه من الشهر العربى وما وافقه من أيام الشهر القبطى لا يزال كذلك، وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحداً قبل الخليفة وبعده الوزير، فإذا بقى من الوفاء أصبع أو أصبعان، وعلم ذلك من مطالعته - أمر أن يحمل إلى المقياس فى تلك الليلة الخبز

(١) كذا جاءت بالنسخ المخطوطة. والوجه أن يقال: أخواه.

(٢) فى الأصل: بالسد.

السميد^(١) والخراف المشوية والحلوى والشموع، ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس، فيحضر إليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم، فيقرءون فيه تلك الليلة، وتوقد الشموع عليهم إلى الصباح.

ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم، ويبتهجون به ابتهاجا زائدا، ويهتمون بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل موسم، فإذا أصبح الصباح من هذا اليوم، وحضرت مطالعة ابن أبي الرداد إليه بالوفاء - ركب إلى المقياس لتخليقه، فيحضر الوزير إلى القصر، ويركب الخليفة بزى أيام الركوب في الجمع الهائل على ترتيب الموكب، ويخرج شاقا من باب زويلة سالكا إلى جامع ابن طولون والجسر الأعظم بين البركتين 1 إلى الساحل بمصر إلى الصناعة، فينزل بمنظرتها، ويركب في العشارى وعليه قبة ملبسة بصفائح الفضة المذهبة، ويركب الوزير وبعض خواصه، وليس في العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا، ويطلع إلى المقياس من بابه العالى على الدرج التى يعلوها النيل، فيدخل إلى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعات، فإذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك، فيذيبها بيده، ويناولها صاحب بيت المال، فيناولها لابن أبي الرداد، فيلقى نفسه في الفسقية ويخلق العمود، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن نوبة نوبة، ثم يخرج من فوره راكبا في العشارى المذكور، ثم هو بالخيار، إما أن يعود إلى ساحل مصر ويركب منه عائدا إلى القاهرة، أو ينحدر في العشارى إلى المقس فيتبعه الموكب إلى القاهرة، ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل، ويشرف ابن أبي الرداد ثانى يوم - وهو من العدول المحتكمين - بخلعة مذهبة وطيلسان مقور يلبسه في القصر، ويخرج (من باب العيد)^(٢) ويشق من بين القصرين، ويحمل أمامه على أربعة بغال مع أربعة من خدم بيت المال أربعة أكياس،

(١) في ب، ج: السمين. والسميد لغة في السميد وهو: لباب الدقيق.

(٢) ما بين القوسين ليس في ج.

1 أى: بركة الفيل وبركة قارون.

فى كل كىس خمسائة درهم ظاهرة فى أفكهفهم؁ ىركب معه أقاربہ وبنو عمہ وأصدقائه؁ وبن ىديه الطبل والبوق؁ وىجىء إلى كل باب من أبواب القصر؁ وىقعد^(١) علیه وىقبله وىركب؁ وكذا عادة كل من ىخلع علیه من الدولة. وىخرج من باب زویلة إلى مصر؁ فىعدى إلى المقیاس؁ وهذه الأكياس معدة له ولبنى عمه بتقریر من أول الزمان؁ فإذا انقضى هذا الشأن شرع فى الركوب إلى فتح الخلیج ثانى یوم؁ وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زیادة النیل ذراع الوفاء اهتماما عظیما؁ فتخرج الخیمة التى یقال لها القاتول؁ لأن فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسمیت بذلك؁ وطوله سبعون ذراعا؁ وبأعلاه صفریة^(٢) فضة^(٣) تسع راویة ماء. وسعة الخیمة تزید على فدانین مستدیرة؁ وتنصب فى بر الخلیج الغربى على حافته مكان بستان المحلى الیوم^(٤)؁ وكانت ثم منظره یقال لها السكرة برسم جلوس الخلیفة لفتح الخلیج فى مثل هذا الیوم؁ وتنصب أرباب الرتب من الأمراء (من بحرى تلك)^(٥) الخیمة الكبرى خیاما كثیرا. فإذا تم ذلك وعزم الخلیفة على الركوب ثالث یوم التخلیق ورابعه - حضر وزیر إلى باب القصر؁ وخرج الخلیفة فى هیئة عظیمة وهمة عالیة؁ وحضر جمیع العسكر فى ذلك الیوم فارسها وراجلها؁ وخرج زى الخلیفة من المظلة والسیف والرمح والألویة والدواة و غیر ذلك؁ ویزاد على سائر المواكب أربعون بوقا؁ عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة؁ وىكون أربابها ركباناً؁ وأرباب البوقات النحاس مشاة؁ ومن الطبول الكبار التى مكان خشبها فضة عشرة؁ ومن التماثل فى شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفیلة والزرافات عدة وافرة؁ منها ما هو ملبس بالعنبر وما هو ملبس بالصندل؁ ثم شكل التفاح والأترج و غیر ذلك. وىركب فى ذلك الیوم من أقارب الخلیفة المقیمین بالقصر

(١) فى ب؁ ج: ویسلم.

(٢) فى ب: صفرة. وفى ج: قبة.

(٣) هذه اللفظة لیست فى ب.

(٤) هذه اللفظ لیست فى ج.

(٥) جاء مكان ما بین القوسین فى ج: حول تملك.

عشرون أو ثلاثون، وهم بالنوبة فى كل سنة، فيتقدمون إلى المنظرة فى مكان لهم، ويكون قد لف عمود الكبرى المشار إليها إما بديباج أحمر أو أصفر أو أبيض من أعلاه إلى أسفله، ويركب الخليفة من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة، وهو كله ذهب وحرير مرقوم، والمظلة من شكله، ولا يلبس هذا الثوب غير هذا اليوم، ويسير بالموكب الهائل شاقا من القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس، إلا أنه لا يدخل طريق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل.

فإذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى النحاس حبلا طويلا قوى^(١) موضوع آخره من الطريق، وفيه قوم يقال لهم السحرارية^(٢)، واحد فى زى فارس على شكل فرس^(٣)، وفى يده رمح وبكتفيه ورقة، فينحدر على بكرة، وفى رجله آخر يمسكها، وهو يتقلب فى الهواء بطنا وظهرا حتى يصل إلى الأرض، ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا فى باب الجامع من هذه الجهة، فإذا رآهم الخليفة وقف لهم وقفة فيسلم على القاضى، ثم يركب القاضى ومن معه ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان، إحدهما ديباج أحمر، والأخرى ديبقى أبيض، بصفارى فضة لكل واحدة، ويتم الخليفة بهيئته إلى أن يدخل من باب الخيمة، ويجلس على المرتبة المنصوبة له، ويحيط به الأمراء، ويجلس الوزير على كرسيه الجارى به العادة ورجلاه تحك^(٤) بالأرض، ويقف أرباب المراتب ساعة^(٥) والقراء يقرءون القرآن ساعة زمانية، فإذا ختموا قراءتهم دخل الشعراء فأنشدوا ما يناسب هذا اليوم واحدا فواحدا. وتقدم مرة شاعر يقال له ابن خبر، فأنشد قصيدة منها:

(١) كذا فى النسخ المخطوطة. والوجه أن يقال: قويا.

(٢) فى ب، ج: النحسارية.

(٣) فى ج: فارس.

(٤) فى ب، ج: تحت.

(٥) هذه اللفظة ليست بالأصل.

فتح الخليج ^(١) فسال منه الماء وعلت عليه الراية البيضاء
وصفت موارده لنا فكأنه كف الإمام فعرفها الإعطاء

فانتقد الناس عليه في قوله: « فسال منه الماء »، وقالوا: أى شيء يجرى من البحر
غير الماء، فضيع ما قاله بعد هذا المطلع.

وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة، وأنشد:

ما زال هذا السد ينظر فتحه إذن الخليفة بالنوال المرسل
حتى إذ برز الإمام بوجهه وسطا عليه كل حامل معول
فجرى كأن أذيب فيه عنبر يعلوه كافور كطيب ^(٢) المنديل
فانتقد عليه أيضا في قوله في البيت الثانى، وقالوا: هلال وجه الإمام بسطوات
المعاول عليه، وإن كان قصد فتح السد بالمعاول، لكنه ما نظمته إلا قلقا.

ثم تقدم شاعر يقال له كافى الدولة أحمد، وأنشد قصيدة شهد له جماعة أنه عملها
بديها بحضورهم:

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد	للنيل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معا فى موطن	وافيتما فيه لأصدق موعد
ليس اجتماع الخلق إلا للذي	حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما بوفائه	بالسعد لكن ميلهم للأجود
ولن إذا اعتمد الوفاء ففعله	بالقصد ليس له كمن لم يقصد
هذا يفى ويعود (ينقص تارة) ^(٣)	وتصد ^(٤) أنت النقص إن لم تزد

(١) فى ج: السد.

(٢) فى الأصل: لطيب.

(٣) جاء مكان ما بين القوسين فى ب: تارة ينقص.

(٤) فى الأصل، ج: وتعيد.

وتراه^(١) إن بلغ النهاية قصرت وإذا بلغت إلى النهاية تبثدي
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه بالسد فهو به بحال مقيد
فإذا أردت صلاحه^(٢) فافتح له أترى جنانا^(٣) مخصبا وترى ندى
وأمر بفصد العرق منه فما امتلا جسم فصح الجسم إن لم يفصد
واسلم إلى أمثال يومك هكذا^(٤) فى عيش مغبوط وعز مخلد
فأمر له على الفور بخمسين دينارا، وخلع عليه، وزيد فى جائزته.

ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا، والوزير بين يديه، حتى يطلع إلى المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها، ويفتح إحدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج، ويشير بالفتح، فتفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول، ويخدم بالطبل والبوقات، فإذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف ثم العشاريات الخاص الكبار^(٥)، وهى ستة^(٦): الذهبى والفضى والأحمر والأصفر واللازوردى والصقلى، وساروا فى الخليج وعلى بيت كل منها الستور والحرير، وعلى رءوسها وأعناقها الأسنة والقلائد، فتسند إلى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة، فإذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقي البيضاء - وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رءوس الفراشين صحبة صاحب المائدة، فتوضع فى خيمة معدة لذلك ولها رواء عظيم ومسك فائح، وعليها القوارات^(٧) الحرير، ويحمل للوزير عادته من

(١) فى ب: وقراه. وفى ج: وقواه.

(٢) فى ب، ج: صلاحه.

(٣) فى ج: حنانا.

(٤) فى ج: هذا.

(٥) هذه اللفظة ليست فى ج.

(٦) فى النسخ المخطوطة: سبعة. والتصويب من الخطط (٤٧٩/١).

(٧) فى ب: القواران. وفى ج: القوارات.

الطعام فى صوانى التماثل، وكذا سائر الأمراء، ويحمل إلى قاضى القضاة من غير تماثل توقيرا للشرع، ويصل من ذلك إلى الناس شىء كثير، ولا يزالون كذلك إلى أن يؤذن بالعصر، فإذا صلوا ركب بالوكب كله لانتظار ركوب الخليفة، فيركب لابساً غير البدلة بدلة أخرى، والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه، والترتيب بأجمعه على حاله، ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هناك، حتى يدخل من باب القنطرة 1 إلى القصر، ويمضى الوزير إلى داره.

وقال المقرئ 2: منظره السكره بناها العزيز بالله ابن المعز، كان الخليفة يجلس فيها يوم كسر الخليج، وكانت من جنات الدنيا المزخرقة، وكان لها بستان عظيم وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الأكابر، وقد دثرت.

قال: ويشبه أن يكون موضعها فى الموضع الذى يقال له اليوم المريس قريب قنطرة السد، وقد أشار الفقيه عمارة اليمنى إلى ذكر هذا الموسم فى قصيدته التى رثى بها الخلافة ^(١) الفاطمية، وهى القصيدة التى قال فيها أبو سعيد لم يسمع فيما يكتب به دولة بعد انقراضها أحسن منها وهى هذه:

رمى ^(٢) يا دهر كف المجد بالشلل	وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعت فى منهج الرأى العثور فإن	قدرت فى عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك 3 الأفتى 4 فأنفك لا	شك ما بين قرع السن والخلجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل	سقت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف منى الآمال قاطبة	على فجيعتها فى أكرم الدول

(١) فى الأصل: الخليفة.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

1 باب القنطرة: كان أحد أبواب القاهرة فى سورها الغربى الذى أقامه جوهر الصقل سنة ٣٦٠ هـ.

2 الخطط (١/٤٧٠).

3 مارنك: المارن من الأنف: ما لان منه.

4 الأفتى: وصف لمن ارتفع وسط قصبه أنفه وضاق منخراه.

قدمت مصر فأولتني خلائفها
قوم عرفت بهم لب الألو ف ومن
وكننت من وزراء^(٢) الدست 1 (حين وفا)^(٣)
ونلت من عظماء الجيش مكرمة
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة
بالله رد ساحة القصرين وابك معى
وقل لأهليهما والله ما التحمت
ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلة
هل كان فى الأمر شىء غير قسمة ما
وقد حصلتم عليها واسم جدكم
مررت بالقصر والأركان خالية
فملت عنها بوجهى خوف منتقد
أسبلت من أسفى دمعى غداة خلت
أبكى على ما تراءت من مكارمكم
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست
وموسم كان فى فتح الخليج لكم

من المكارم ما أرى على الأمل^(١)
كما لها أنها جاءت ولم أسل
رأس الحصان بها دينا على الكفل
وحلة حرست من عارض الخلل
لك الملامة إن قصرت فى عدلى
عليهما لا على صفين والجمال
فيكم جراحى ولا قرعى بمندمل
فى حق نسل أمير المؤمنين على
ملكتم بين حكم السبى والنقل^(٤)
محمد وأبوكم غير منتقل
من الوفود وكانت قبلة القبل
من الأعادى ووجه الود لم يمل
رحابكم وغدت مهجورة السبل
تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
ورث منها جديدى عندهم وبلى
(يأتى تجملكم فيه على الجمل)^(٥)

(١) فى ب، ج: الأول.

(٢) فى ب، ج: وراء.

(٣) فى ب، ج: خير سها.

(٤) فى ج: والفقل.

(٥) هذا الشطر ليس فى ب، ج.

1 الدست: صدر المجلس. ويقال: دست الوزارة، أى: منصبها.

(وأول العام والعيدين كم لكم) ^(١)
والأرض تهتز فى يوم الغدير كما
والخيل تعرض فى وشى 3 وفى شية
ولاحملت قري الأضياف من سعة ^(٢)
وما خصصتم ببر أهل ملتكم
كانت رواتبكم للذمتين ولد
ثم الطراز بتيس الذى عظمت
وللجوامع من إحسانكم نعم
وربما عادت الدنيا فمعقلها
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ
ولا رأى جنة الله التى خلقت
أئمتى وهداىى والذخيرة لى
تالله لم أوفهم فى المدح حقهم
ولو تضاعفت الأقوال ^(٤) واستبقت
(باب النجاة هم دنيا وآخرة)

فيهن من نيل جود ليس بالوشل 1
يهتز ما بين قصرىكم من الأسل 2
مثل العرايس فى حلى وفى حلل
الأطباق إلا ^(٣) على الأكتاف والعجل
حتى عمتم به الأقصى من الملل
ضيف المقيم وللطارى من الرسل
منه الصلاة لأهل الأرض والدول
لمن تصدر فى علم وفى عمل
منكم وأضحت بكم محولة العقل
ولا نجا من عذاب الله غير ولى
من كف خير البرايا خاتم الرسل
من خان عهد الإمام العاضد بن على
إذا ارتهنت بما قدمت من عملى
لأن فضلهم كالوابل الهطل
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
وحبهم فهو أصل الدين والعمل ^(٥)

(١) هذا الشطر ليس فى ب، ج. وجاء مكانه الشطر الأول من البيت السابق.

(٢) فى الأصل: سبعة.

(٣) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

(٤) فى الأصل: الأقول.

(٥) هذا البيت ليس فى ب.

1 الوشل: القليل.

2 الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف.

3 وشى: نقش وحسن. يقال: وشى وشيا وشية.

نور الهدى ومصباح الدجى ومحل الغيث (إن ربت) ^(١) الأنواء فى المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم من نور خالص نور الله لم يفل
والله لا زلت عن حبى لهم أبدا ما أكر الله لى فى مدة الأجل

فصل

ولما انقرضت دولة الفاطميين صار ملوك بنى أيوب يركبون إلى المقياس يوم
الوفاء.

قال القاضى الفاضل: فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصل المفرد فى حادى عشر
(ربيع الأول بالوفاء فى سابع عشرة) ^(٢)، فأوفى بمصر فى سابع ^(٣) عشرينه يوم
السادس عشر من مسرى.

قال: ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم، فركب السلطان صلاح الدين
لتخليق المقياس فى غد، وخلع ^(٤) على ابن أبى الرداد فى سلخه، وفتح الخليج فى
رابع ربيع الآخر والماء على خمسة عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا بمصر وإلى
القاهرة، ثم ركب السلطان فى أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا وعاد.

وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فى ثانى ^(٥) عشر رمضان ركب العزيز إلى
المقياس وخلقه، وفى العشرين منه فتح سد الخليج. فركب العزيز لذلك وكثر
المتفرجون، والعزيز هو ثانى ملوك بنى أيوب، وهو ولد السلطان صلاح الدين،
واسمه عثمان، وهو من خيار ملوك مصر، وهو صاحب وقف الخشابية بجامع
عمرو، وهو مدفون داخل قبة الإمام الشافعى رحمته الله.

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٢) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٣) فى ب، ج: سادس.

(٤) فى ب، ج: وحاج.

(٥) فى ب، ج: ثامن.

قال المقریزی: وفي سنة تسع وسبعين^(١) وستائة في سادس عشر ربيع الآخر أوفى النيل أول أيام النسيء، فركب السلطان إلى المقياس وخلق العمود، ثم ركب في الحراقة وكسر الخليج الكبير، فكان يوما مشهودا، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وقال المقریزی: في سنة خمس وثمانين وسبعائة ركب السلطان الملك الظاهر برقوق (حتى خلق المقياس، وفتح الخليج بحضرته على العادة، ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس وفتح الخليج، سوى الظاهر برقوق)^(٢).

وكذا قال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر.

واستمر الظاهر برقوق يركب إلى المقياس وكسر الخليج كل سنة مدة ولايته، وركب ولده الملك الناصر فرج كذلك في سنة سبع وثمانائة، وفي سنة إحدى عشرة.

[وركب الملك المؤيد شيخ لذلك في سنة ست عشرة أول ما تسلطن، ثم استمر يركب إلى أن مات، ثم لم يركب له سلطان إلى سنة ثلاث وثلثين، فركب الملك الأشرف برسباي لذلك. ثم لم يركب له إلى أن مات، ولا أحد من السلاطين بعده إلى أيام الملك الظاهر خشقدم، ركب له في ولايته بعض سنين]^(٣)، ولم يركب له سلطان عصرنا^(٤).

وقال بعضهم في كسر الخليج وكتابة البشائر:

سد	الخليج	بكسره	خير	الوري	طرا	فكل	قد	غدا	مسرورا
الماء	سلطان	فكيف	تواترت	عنه	البشائر	إذ	غدا	مكسورا	

(١) في ب، ج: وستين.

(٢) ما بين القوسين ليس في ج. وفيه اضطراب شديد في ب.

(٣) ما بين المعقوفتين به تقديم وتأخير واضطراب شديد في ب، ج.

(٤) أى: الملك الأشرف قايتباي.

وقال شمس الدين^(١) محمد بن داود بن قول سبط الملك الظاهر:

لله در الخليج إن له تفضلا لا نزال نشكره
حسبك منه بأن عادته يجبر من لا يزال يكسره
وقال ابن^(٢) إياس الذهبي:

كسر الخليج وكان ذلك نعمة سرت قلوب المسلمين بسره^(٣)
ومن العجائب والغرائب أنه جبرت قلوب العالمين بكسره
وقال تقي الدين 1 بن^(٤) أبي بكر بن^(٤) حجة يهنئ الملك المؤيد شيخ بكسر
الخليج (عام ست عشرة وثمانائة)^(٥)، وهو عازم على السفر لقتال نوروز لما عصى:

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا ومنتصبا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى وحقك بعد الكسر أيام نوروز
وأنشد الشهاب الحجازي 2 لنفسه في ذلك:

أيا ملكا كالبحر سمته الوفا ليهنيك كسر النيل إذ أنت معزوز

(١) في ب، ج: الأئمة.

(٢) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٣) في ج: بكسره.

(٤) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٥) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

1 هو تقي الدين، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي، المعروف بابن حجة، إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعرا جيد الإنشاء، من أهل حماء، ولد ونشأ ومات فيها. توفي سنة ٨٣٧ هـ.

2 هو شهاب الدين، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي، المعروف بشهاب الدين الحجازي، من شيوخ الأدب في مصر. مولده ومنشؤه ووفاته في القاهرة، نظم الشعر، وعنى بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس. توفي سنة ٨٧٥ هـ.

وفيت إلى نوروز والغدر طبعه
وبعد وفاء البحر يكسر نوروز
وقال البدر البشتكى:

رعى الله مصرا كم بها من مسرة
رويت الهنا عن سدها يوم كسره
(ومنزل أنس)^(١) لاح كالطالع السعدى
فها أنا مهما عشت أروى عن السدى

وقال الصفى عبد العزيز بن سرايا الحلى يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون
(يوم الوفاء)^(٢) عند كسر الخليج:

خلع الربيع على غصون البان
ونمت فروع الدوح^(٣) حتى صافحت
وتتوجت^(٤) هام^(٥) الغصون وضرجت
وتنوعت بسط الرياض فزهرها
من أبيض يقق 1 وأصفر فاقع
والظل يسرق فى الخمائل خطوة
وكأنما الأغصان سوق رواقص
والشمس تنظر من خلال فروعها
والطلع فى حلل الكمام كأنه
والأرض تعجب كيف تضحك والحيا
حللا فواضلها على الكتيان
كفل الكتيب ذوائب الأغصان
خد الرياض شقائق النعمان
متباين الأشكال والألوان
أو أزرق صاف وأحمر قان
والغصن يخطر خطرة^(٦) النشوان
قد قيدت بسلاسل الريحان
نحو الحدائق نظرة الغيران
حلل تفتق عن نحور غوان
ييكى بدمع هائم الهملان^(٧)

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى ب، ج: فى منزل أسد.

(٢) هذه الزيادة من ج.

(٣) فى الأصل: المدح.

(٤) فى ب: وتوجهت. وفى ج: وتتوجت.

(٥) فى ب: عام.

(٦) فى الأصل، ج: خطوة.

(٧) فى الأصل: الهيمان.

حتى إذا افترت مباسم زهرها
ظلت حدائقها تعاتب جوها^(١)
طفح السرور على حتى إنه
فاصرف همومك بالربيع وفضله
أنى وقد صفت المياه وزخرفت
واخضر واديبها وأحرق زهره
وبه الجوار المنشآت كأنها
نهضت بأجنحة القلوع كأنها
والماء يسرع فى التدفق كلما
طورا كأسنمة القلاص وتارة
حتى إذا كسر الخليج وقسمت
ساوى البلاد كما تساوى فى النداء
الناصر الملك الذى فى عصره
ملك إذا اكتحل الملوك بنوره
فإذا جرى بين البرية ذكره^(٤)

وبكى السحاب بمدمع هتان
فأجاب معتذرا بغير لسان
من عظم ما قد سرنى أبكاني
إن الربيع هو الشباب الثانى
جنات مصر وأشرف الهرمان
والنيل فيه ككوثر عنان
أعلام بيد^(٢) أو فروع قنان
عند المسير تهم بالطيران
عجلت عليه يد النسيم الوانى 1
متفتل^(٣) كأكارع الغزلان
أمواه لجتة على الخلجان
بين العباد مواهب السلطان
شكر الأطباء صنيعه السرحان
خروا لهيبته إلى الأذقان
تغنيه شهرته عن ابن فلان

1 أبيض يقق: شديد البياض ناصعه.

(١) فى الأصل: جونه. وفى ب: جره.

(٢) فى ب: تبدو. والبيد: جمع بيداء، وهى الفلاة.

(٣) فى ب: متفتك. وفى ج: تمتك.

(٤) فى ب، ج: ذكر اسمه.

1 النسيم الوانى: الضعيف الهبوب.

من معشر خزنوا الثناء وقطعوا
قوم يرون المن عند عطائهم
الموقدو تحت المراحل للقرى
إن أخرست فلذا العقير كلابهم
أسد روت (٣) يوم الهياج أكفهم
قصفوا (٤) القنا 1 فى صدر كل مدرع
قد عز دين محمد بسميه
ملك تعبدت (٥) الملوك لأمره
وافى وقد عاد السماح وأهله
فالطير تلجأ بالحصون لأنها
(لا عيب فى نعماء إلا أنها) (٧)
شاهدته فشهدت لقمان الحجى
ورأيت منه سماحة وفصاحة

بفنا النضار جوائز الخزان
شركا بوصف الواحد الديان (١)
فضلات ما حطوا (٢) من المزان
نادوا الضيوف بألسن النيران
بدم الأسود ثعالب الخرصان
والبيض فى الأبدان والإيدان
وسما بنصرته على الأديان
وكذاك دولة كل رب قران
رمما فكان له المسيح الثانى
(بنداه لم تأمن من الطوفان) (٦)
يسلو الغريب بها عن الأوطان
ونظرت كسرى العدل فى الإيوان
أعدى بفيضهما (٨) يدى ولسانى

-
- (١) فى ب، ج: المتان.
(٢) فى ج: خطوا.
(٣) فى ج: نوت.
(٤) فى ب: وضعوا.
(٥) فى ج: تقيدت.
(٦) هذا الشطر ليس فى ب، ج.
(٧) هذا الشطر ليس فى ب، ج. وقد جاء الشطر الثانى لهذا البيت فيهما مكان الشطر الثانى من البيت السابق.
(٨) فى الأصل: يغيضهما. وفى ب: مفيضهما.
-

1 القنا: جمع قناة، وهى الرمح الأجوف.

يا ذا الذى شغل الزمان بنفسه
لو يكتب اسمك ^(١) بالطوارق ^(٢) والقنا
وكتيبة ضرب العجاج 1 رواتها
نصب ^(٤) الغبار على الجياد مدارعا
ودم بأذيال الدروع كأنه
حتى إذا استعر ^(٥) الوغى وتتبع
فعلت ^(٦) دروعك عندهم ^(٧) بسيوفهم
وبرزت تلقطك الصفوف ^(٨) إليهم
بأقب 2 يعصى الكف ثم يطيعه
قد أكسبته (رياضه سواسه) ^(٩)
كالصقر فى الطيران والطاووس فى

وأصم سمع طوارق الحدثان
أغنى عن التضراب ^(٣) والقطعان
من فوق أغمدة القنا المران
موصولة بمدارع الفرسان
حول الغدير شقائق النعمان
بيض الصفاح مكامن الأضغان
فعل السراب بمهجة الظمآن
لقط الزناد سواطع النيران
فتراه بين تسرع وتوان
فتكاد تركضه بغير عنان
الخطران والخطاف فى الروغان

-
- (١) فى ج: اسم.
(٢) فى ب: بالطوام. وفى ج: بالصوام.
(٣) فى ج: التضراب.
(٤) فى ب، ج: نسج.
(٥) فى ب، ج: استقر.
(٦) فى ب، ج: فقلت.
(٧) فى ب: عددهم. وفى ج: درهم.
(٨) فى ج: السيوف.
(٩) فى ج: رياض سياسته.
-

- 1 العجاج: الغبار والدخان.
2 بأقب: الأقب جمع قب، وهو من اللجام الصعب العظيم.
3 حبك السماء: جمع حبيكة، وهى مسير النجم.

يرنو إلى حبك السماء 3 توهما
 لو قيل عج نحو السماء تبادرا
 لو قيل جز فوق السراط مسارعا
 وفللت جد جدوعهم بصوارم
 ضلت فظنت فى مقارعة العدا
 صيرت هامات الكمة صوامعا
 يا ذا الذى خطب المديح سماحه
 أقصيتنى بالجود ثم دعوتنى
 ضاعفت برك لى ولو لم يولنى
 فنأيت عنك ولست أول حازم
 علمى بصرف الدهر أخلى معهدى
 ولربما طلب الحريص زيادة
 فلئن رحلت فقد تركت بدائعا
 وخريدة هى فى الجمال فريدة
 معتادة تهب الخليل صداقها
 لا عيب فيها وهو شاهد حسنها
 قلت وإن جلت صنائع لفظها
 أن المجرة حلبة الميدان
 وطئت يده دوائر الدبران ^(١)
 لمشى عليه مشية السرطان
 ككراك نافرة عن الأجفان
 إن أغموه معاهد التيجان
 وكواسر العقبان كالرهبان
 فنداه قبل ندائى قد لبانى
 فنداك أبعدننى وإن أدنانى
 إلا القبول عطية لكفانى ^(٢)
 خاف النزول بمهبط الطوفان
 منى وصرف فى البلاد عنانى
 فغدت مودية إلى النقصان
 غصبت ^(٣) فصول الحكم من لقمان
 فهى الغربية وهى فى الأوطان
 فخرا على الأكفاء والأقران
 إلا تبرجها بكل مكان
 لكم وإن نطقت بسحر بيان

(١) فى ب، ج: الدبران. والدبران: خمسة كواكب من الثور، يقال: إنها سنامة، وهو من منازل القمر.
 وقيل: نجم بين الثريا والجوزاء.
 (٢) فى الأصل: الكفان.
 (٣) فى ب: غصبت. وفى ج: عصبت.

فجميل صنعكم أجل صنائعا وبديع فضلكم أدق معان

وقال مهذب^(١) الدين أبو نصر محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن البرهان
النجم^(٢) يخاطب زين الدين يوم تخليق المقياس:

أمقياس مصر أنت في مصر كعبة	تحج لك الأملاك والخلفاء
وللخلق إن خلقت يوم مسرة	يكون به للعالمين هناء ^(٣)
وما النيل إلا من مواهب ربنا	يصرفه في الأرض كيف يشاء
دع الكبر واعلم أن راحة أحمد	بنيل الورى مالا ونيلك ماء
وإنك تبدى الستر في العام مرة	وكم عمنا ستر له ووفاء

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة يمدح الأمير يلغا يوم كسر الخليج:

أتانى من نحو الحبيب بشير	فكدت إليه بالسرور أثير
حبيب إذا ما لاح دينار خده	فإنى إليه ما حيث فقير
أقول لمن أمسى عليه يلومنى	ملامك فى الطبى الغرير ^(٤) غرور
أيمخفى اشتهاى فى هواه ولحظه	إذا ما رنا سيف على شهير
لئن بات دمعى من تجنيه مطلقا	فقلبى المعنى فى هواه أسير
وبى من له من ورد خديه دائما	ودمعى بمصر روضة وغدير
كسرت دموعى كالخليج الذى به	جبرت وقلب الماء فيه كسير
أرى الراية البيضاء على النيل بالوفا	إذا لاح لى قلع عليه كبير

(١) فى ب، ج: شهاب.

(٢) فى ب، ج: المنجم.

(٣) فى ج: ضياء.

(٤) فى ب: العزيز. وفى ج: الغدير.

(٥) فى ب، ج: ورخص مصر فى غلا السعير.

(وحصن مصرًا في علا السعد)^(٥) عندما
 وبات ^(١) به نحو البلاد مفرقا ^(٢)
 ودارت سواقي مصر في كل روضة
 وبشر طير الماء فيه غرابة
 نعم طار فوق الماء وهو مخلوق
 أرى النيل سلطان المياه ويلبغا
 كأن جناحي عينه عندما سرى
 كأن حباب الماء فيه كواكب
 كأن لزحف الماء فيه كتائب
 كأن شقيق الروض حول أقاحه 2
 كأن قدود الغيد في الروض حوله
 كأن محيا يلبغا عندما سرى
 عجت لفلك حل فيه بجوده
 هو البر إلا أن يمناه بالندا
 تلقته بالمقياس عند حلوله
 وعاد إلى كسر الخليج فبادرت

غدا وله حول المنازل سور
 وبات ^(٣) لميت القلع فيه نشور
 على مثلها كان الخصب يدور
 فكاد بأرياش القلاع يطير
 وعم البرايا فرحة وسرور
 عليه بمصر حاكم وأمير
 إليه بزا 1 حوله وصقور
 تضيء فتبدو تارة وتغور ^(٤)
 لعسكرها الجرار فيه عبور
 خدود على وجه الربى وثغور
 غصون ومن فوق الغصون بدور
 به الفلك بدر في السماء منير
 وقد صار تحت البحر كيف يسير
 أصابعها للواردين بحور
 أصابع تومي بالدعا وتشير
 لرؤياه ولدان هناك وحور

(١) في ب، ج: ومات.

(٢) في الأصل: مغرقا.

(٣) في ب: ومات.

(٤) في ب: وتغور.

1 بزا: جمع بازي، وهو نوع من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم.
 2 أقاحه: الأقاح جمع الأفحوان: وهو نبت زهره أصفر أو أبيض، وأعلى ورقه كأسنان المنشار.

وصفت الأمواج حتى تراقصت
وغنت على العيدان ورق حمائم
ولاح حباب الماء فيه كأنه
ونفر عنى الهم صوت نفيه
ولا ملت فى مدح الأمير إلى الهوى
لئن كان يهوى العدل فينا فجوده
وإن قل فى حسن الوفاء نظيره
وإن طال فى يوم الكريهة باعه
أحرر مدحى فى علاه وقصره
فلا زال فى دور الهوى ^(٣) ومدحه
مراكب فيها فى الصدور صدور
لأصواتها مثل الغدير هدير
نجوم على قطب السرور تدور
فما راعنى ممن هويت نفور
لأنى بما يهوى الأمير خبير
على ماله للمادحين بحور ^(١)
فإحسانه فى العالمين كثير
فعمر عدو الدين منه ^(٢) قصير
من الفرش فيه جنة وحرير
لآيياته فوق السماء قصور

وقال ابن أبى حجلة أيضا:

لما تزايد نيل مصر وأترعت
نشروا القلوع وبشروا بوفائه
منه الحياض وللروابى طففا
فالراية البيضاء عليه بالوفا

وقال البدر البشتكى:

جرى النيل يحكى ناظر الخاص فى الوفا وأطراه بعض الناس والفرق لن يخفي
فقلت لقلبي دع لهم وصف نيلهم وحسبك إبراهيم فهو الذى وفى
وقال البدر البشتكى يمدح قاضى القضاة برهان ^(٤) الدين بن جماعة عند كسر

(١) فى ج: يحور.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ج.

(٣) فى الأصل: هنا.

(٤) فى ج: بدر.

الخليج سنة ٧٧٨:

ودهرا	قد تقضى	ذا هبات	رعى الله الليالى	الذاهبات		
تروع	بالكؤوس	المرعات	نعم وسقى وحيا	لى ندامى		
حبابا	كالنجوم	النيرات	وشمس الراح	بالراحت تجلو		
فتتبغنى	الأحبة	كالغوات	ومن شعرى أهيم	بكل واد		
وأيام	بشمس ^(٢)	مشرقات	ليال من بدور ^(١)	مقمرات		
غنينا	بالحدود	المذهبات	وفضى السوالف	حين غنى		
نراه	فى الصحاح	من اللغات ^(٣)	(تكلمنا	لواحظنا بما لا		
فيخجلها	بحسن	الالتفات	تحاكيه الغزالة	فى سناها		
أقول	مبادرا	يا بدر هات	إذا ما قال لى	خذ شمس كاسى		
على	رغم العواذل	والوشاة	قطعناها	بوصل من حبيب		
فسقى	عصرها	ابن المعصرات	ليال كاللآلى	فى اتساق		
فروحي	بعدها	فى النازعات	وإلا	مرسلات من دموعى		
قصارا	بالحسان	القاصرات	ليالى مصر	قد طالت وكانت		
بها	قد جال	فى مستنزهات	ألا يا حبذا	مصر وطرفي		
بمنحدراتها	والمصعدات		وصحبي بالمراكب	فى نعيم		
مزجنه	بأوصاف	الفرات	وخضنا	فى حديث النيل	لكن	
بأيام	الوفاء	الوافيات	فقلت	وقد سرت	عنى همومى	
على	بخل	الليالى	الغادرات	عجبت	لنيل مصر	حين وفي

(١) فى ب، ج: بدورى.

(٢) فى ب، ج: بشمسى.

(٣) هذا البيت ليس فى ج.

وزاد تعجبي فيه إلى أن
 إمام قد تواتر من قديم
 تفرد في عبادات وأضحت
 فإن قربت جنايزنا بفقر
 وإن عظمت جنيات الليالي
 له نحو العلا أبواب عطف
 وذو خطب أزال كل خطب
 نعم ومصنفات في علوم
 تصانيف سمت وهدت وضاعت
 له قلم إذا ضعفت نفوس
 وإن نامت حظوظ المدح يوما
 وذو همم إذا الأيام جنت
 وأحلام بحسن الوصف سارت
 آل جماعة جمعت لديكم
 مناقبكم على الأيام تبقى
 لكم نشر طوى ندا وعودا
 نعم لجماعة برهان فضل
 رأيت جواره قاضى القضاة
 حديث عطائه عند الثقات
 صلوات البر منه كالصلاة ^(١)
 يرينا باب إحياء الموات
 يقابلها بأبواب الديات
 وبذل فيه تأكيد الصلوات
 وكانت للمدائح خاطبات
 علت وحوت جميع الوقائع
 فقلنا: كالنجوم الزاهرات
 أتاها بالدواء من الدواة
 ينبهها بهبات الهبات
 تراها ^(٢) فى المعالى راقيات
 فقل فى الراسيات الساريات
 معان للعلا كالجوامع
 وإن غبتم فها هى شهادات ^(٣)
 وعرف مرخص للغاليات ^(٤)
 نفى ^(٥) وفى النداء بالمغلوات

(١) فى الأصل: كالصلوات.

(٢) فى ج: يراها.

(٣) فى البيت إقواء.

(٤) فى الأصل: للطاليات.

(٥) فى ب: نفى. وفى ج: نفى.

فيا لله كم أغنى فقيرا وروى من نفوس صاديات
 وزاد على نوال النيل نيلا وأعطى المال عفوا للعفاة
 أأزكى الناس فى عمل وعلم وفى بذل وفى نفس وذات
 لعدلك أشتكى جور الليالى فقد صارت بفضلى كافرات
 وأنهى أننى رجل فقير لما قررت فى باب الزكاة
 وأيام الوفا أيام كسر فجد لى بالأيدى الجابرات
 رأيته راغبا فى كل فضل فجئتكم بالمعاني المفردات
 وكررت المدائح فىك حتى غدت أحلى من القطر النبات
 فلا زالت ديارك عامرات لنا وديار ضدك غامرات
 ووفاك الوفا بالبشر بدءا وعاد على الأعادى بالوفاة
 تقاسمنا عموم المدح لما خصصنا بالمعاني المبدعات
 فكان على تحسين المبادئ وكان عليك حسن الخاتمات

وقال الأديب شمس الدين النواجى يمدح القاضى كاتب السر كمال الدين بن
 البارزى، ويهنته بكسر الخليج سنة بضع وأربعين وثمانمائة:

لطلعتك الغراء يعنو 1 سنا البدر نعوذ كمالا منك بالشمس والفجر
 أيا سيدا جادت مياه وأمطرت سحائب جود من أناملها العشر
 ويا عنصر الفضل الذى طاب أصله فأخلف فرعا بالندا يانع الزهر
 لك الله خيرا كم همى طيب ^(١) كفه إذا ضنت ^(٢) السحب الهوامع بالنزر

(١) فى ب، ج: غيث.

(٢) فى ب، ج: صفت.

1 يعنو: يخضع ويذل.

محط رحال الطالبين وملجأ الـ
له خبر فى الجود سلسله النداء
ومنطقه جزل المعانى بديعها
لو الفاضل القاضى رأى حسن سبله
لألقى مقاليد البلاغة ناشرا
تبارك من أخلى من الشر قلبه
أسيدنا قاضى القضاة ومن غدا
ويا كاتب السر الذى سار ذكره
يمينك فيها اليمن والأمن والمنى
وكم قد رويانا عن عواليك سندا
تعلم هذا النيل من خلقك الوفا
وأعرب عن معنى صفاتك فانبى
وكان عراه قبل ذاك توقف
وأمسى بكم صبا وأبدى ترفقا
ومذ زرقوه بالهنا طاب قلبه
وها هو قد وافى وأقبل مسرعا
وألقى على الأعتاب فى الحال نفسه

عفاة وأمن الخائفين من الفقر
عن المزن عن صوب الغمام عن القطر
مصون عن السفاسف والفحش والهجر
وعاين ما يلقيه فى الطرس 1 من در
له علم الإنشاء فى النظم والشر
وأودعه أمرا عظيما من السر
كمال محياه يفوق سنا البدر
مسير بدور التم 2 والأنجم الزهر
ويسراك خست فى البرية باليسر
بيوم نوال عن عطاء وعن بشر
فدقت له تلك البشائر فى مصر
بساحل موج البحر بالشيم الغر
وأودى به فرط ^(١) احتراق من البحر
وأجرى عيونا فى ربي عيشك النضر
وأضحى قرير العين منشرح الصدر
على رأسه طوعا لخدمتكم يجرى
وأيقن بعد الكسر عندك ^(٢) بالجبر

(١) فى ب، ج: فرد.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ج.

(٣) فى ب، ج: للندا.

1 الطرس: الصحيفة أو الكتاب.

2 التم: التام.

وأوى إليك اليوم يا بر بالندا ^(٣)
وإن كان مجرا أنت لا شك جسره
يشير إليكم بالأصابع عندما
وقرت عيون الزهر بالقرب فرحة
بكم جبر الله الأنام وخصكم
وزادكم فى العلم والجسم بسطة
تهن بعيد النحر وانحر به العدا
وكم سقت أنعاما به وبذلت من
وقلدتنى ^(١) فيه بمجدواك أنعما
وعش وابق واسلم واغنم وجد وسد
ونل فوق هام الأنجم الغر رفعة
ولا زال رب الملك يوليك أمره

ولا عجا للبحر يأوى إلى البر
فلا بد للبحر الخضم من الجسر
يزيد ويمشى من ظلالك فى ستر
فمن أجل ذا يلقاك مبتسم الثغر
بروضة فضل جادها وابل القطر
لمقياسها بالمشتهى منتهى الشكر
وعش ألف عام ما مضى الحال والأمر
سوايغ أنعام تجل عن الحصر
وأحسن ما تبدو القلائد فى النحر
ودم وارق واسعد بالهناء مدى الدهر
لنروى حديث الفضل منك عن الزهرى
ويكلؤك الرحمن فى السر والجهر

(١) فى الأصل: وقدرتنى. وفى ج: وقدرتنى.